فِي مَقَامِ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ

للدكتور محمد جمال صقر

الأستاذ بجامعتي القاهرة والسلطان قابوس

١٤٣٦=٢٠١٤

نشرة موقع الدكتور محمد جمال صقر www.mogasaqr.com

بِسْمِ اللَّهِ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

وَبِحَمْدِهِ وَصَلَاةً عَلَى

رَسُولِهِ وَسَلَامًا وَرِضْوَانًا

عَلَى صَحَابَتِهِ وَتَابِعِيهِمْ

حَتَّى نَلْقَاهُمْ

فِهْرِسُ الْكِتَابِ

المُقَدِّمَةُ

- بلغنا أن لكم في تدريب أبنائكم على القراءة، منهجا خاصا؛ فهلّا تكرمتم ببيانه!

سؤال سُئِلْتُه صباح الأحد ١٧/ ٦/ ٢٠٠١م، على منصة مسرح كلية دبي الطبية، بعقب محاضرتي "اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ اعْتِقادٌ وَحَياةٌ"- مكتوبا بخط النسخ الجميل؛ فأثارني إلى ذكريات حميمة حبيبة!

ولله عندي الآن خمس نعم لا ينقضي شكرُها، ولا التمتعُ بذكرها مُرَتَّبَةً: (ريم، بَراء، رِهام، سُرى، فُرات)، ثلاث بنات (ريم، رِهام، سُرى)، وابنان اثنان (بَراء، فُرات)- ولا الولعُ بسيرتها!

لم تكن الكتب ممتنعة عليهم بحصن حصين، بل مرتبة على الجدران من تحت إلى فوق في رفوفها المفتوحة، و بينها أجلس دائما على مكتبي قارئا أو كاتبا، حتى كان من لوازم رسائلي عندئذ، إضافة "بَيْنَ الْكُتُبِ"، إلى التاريخ- فكانت مأوى أجسامهم وأرواحهم، يَحْبونَ إليها صغارا، ويمسكون بكعوب ما يستطيعون

من كتب أقرب الرفوف إليهم، ويَجُرّونها؛ فَأُسْرِعُ إلى وضعها بأيديهم في أماكنها، ونهيهم عن جَرِّها، حتى تعلموا أن يعيشوا بينها حياتهم كلها جدها وهزلها، من غير أن يعبثوا بها.

ثم لما اطمأننت إلى مجالستهم أَتَحْتُ لهم بعض الكتب والمجلات المصورة، وساعدتهم على تقليب صفحاتها، حتى استطاعوا ذلك وحدهم؛ فكانوا يمشون إليها مُتَعَثِّرينَ، يجذبونها من على رفوفها، إلى حيث يُقَلِّبونها وكأنهم سيقرؤونها، مثلما أُقَلِّب وأقرأ!

ثم لما قدروا على الكلام رَتَّبْتُ لهم في كراسات صغيرة، نصوصا كاملة من القرآن والحديث والشعر، سورا وأحاديث وقصائد، كنت أُحفِّظهم إياها وأَسْمَعُها منهم بين يَدَيْ مقدمة لازمة:

"بِسْمِ اللهِّ، وَالْحَمْدُ للهِّ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى رَسولِ اللهِّ، وَبَعْدُ؛ فَأَنَا أَحْفَظُ الْقُرْآنَ الْكَريمَ وَالْحَديثَ الشَّريفَ وَالشِّعْرَ النَّفيسَ؛ فَأَنَا عالِمَةُ النّاسِ وَأَديبَتُهُمُ الْمُقَدَّمَةُ -أَوْ عالِمُ النّاسِ وَأَديبُهُمُ الْمُقَدَّمُ- إِنْ شاءَ اللهُ، تَعالى"!

ثم لما قدروا على القراءة رَتَّبْتُ لهم مجموعات الكتب المناسبة مُتَصاعِدَةً، من كتب العريان، وبرانق، والإبراشي، وابن جَنّات، و"كل شيء عن" المترجَمة إلى العربية- إلى كتب الندوي، ورأفت الباشا، وخالد محمد خالد- ثم إلى كتب عبد الحليم محمود، والغزالي، والبوطي- ثم إلى كتب "مكتبة الأسرة"، و"هل تعلم لماذا"، و"موسوعة العلوم والتكنولوجيا"- ثم إلى كتب المازني، والعقاد، ومحمود محمد شاكر، و... محمد جمال صقر -!- ثم إلى كتب شيكسبير الإنجليزية الخالصة، وكتب العيسى وجويدة والشرقاوي المترجمة إلى الإنجليزية- ثم كتب معاجم العربية (الوجيز، والوسيط، ولسان العرب)، والإنجليزية (المورد) - ثم دلتهم الكتب بعضها على بعض! بل كثيرا ما صحبوني إلى المكتبات ولا سيما في معرض القاهرة الدولي، فاختاروها!

وكنت أغريهم بتلوين صور الكتب غير الملونة :

- اللّي يِخَلَّصْ كِتابْ يِلَوِّنُو!

سعيدا بذكاء أصحاب هذه الكتب، الذين مكنوني من ذلك، بطبع صورها مفرغة غير ملونة!

ثم علمتهم تكرار قراءة الكتب، والتعليق عليها من أواخرها، برقم كل قراءة، وتاريخها، مع توقيعاتهم :

- تمت الأولى –أو الثانية أو الثالثة أو الرابعة أو الخامسة...– مساء السبت (...) هـ=(...) م، ريم، براء، رهام، سرى.

فكانوا يمضون في القراءة اللاحقة أسرع مما مضوا في السابقة، ويستفيدون منها أكثر، ويسألون فيها أقل، فيفرحون بها أشد، ويتنافسون :

- براء، انت في المره الكام؟
- التانيه.
- أنا في الرابعه!
- رهام، انت في المره الكام؟
- الأولى.
- أنا في التانيه!

كانت ريم أسرع من براء، ثم صار براء أسرع منها، وكانت سرى أسرع من رهام، ثم صارت رهام أسرع منها، ولا يدومون على حال! ولكنهم إذا راجعوا الآن تلك الكتب، وعثروا على تعليقاتهم، بَشّوا لها كلهم جميعا، بَشاشَتَهم للأحباب الزائرين!

ثم صرت أطالبهم بالتعبير في أسطر قليلة، عما فهموه من الكتاب - ثم بالتعبير عما عاشوه في بعض المناسبات، وأعلق لهم على هذا وذاك، وأكافئهم بما يحبون، حتى تَقَدَّسَتْ لديهم القراءة والكتابة!

ثم غرست لهم القراءة الحرة، في برنامج أعمالهم اليومية:

١ الصلاة.

٢ ورد القرآن الكريم.

٣ مذاكرة دروس اليوم المدرسية.

٤ إنجاز واجبات اليوم المدرسية.

٥ مذاكرة مادة مدرسية كاملة.

٦ ورد القراءة الحرة.

٧ معالجة عمل الحاسوب.

٨ مشاهدة مادة مُتَلْفَزة.

ولم يكونوا أنشط منهم إذا جالسوني، وكنتُ من إخوان العزلة؛ فكنت أصبر مضطرا، حتى رأيت أن أحمل نفسي على التفكير بينهم في أَعْوَصِ أبحاثي؛ ففُرِقَ لي فيه عما لم يكن في البال!

ولقد انفتح لهم بالقراءة الحرة، باب الأسئلة الكثيرة المستمرة، التي كانت تقطع عليَّ تفكيري؛ فتستفزني إلى إسكاتهم حتى أفرغ، أو إلى تعليمهم كيف يجيبونها هم وحدهم- مثلما تستفزني إلى إجابتها :

- بابا!
- نعم!
- إيه الكلمة دي؟
- دي " أَقْبَلَ ".
- معناها إيه؟
- معناها "جِهْ".
- ودي؟
- دي "قَدِمَ".

- معناها إيه؟
- معناها "جِهْ".
- "قَدِمَ" زي "أَقْبَلَ"!
- مش زيها قوي، لكن عامله زيها!
- بابا!
- يا نعم!
- يعني إيه "قَدِمَ صَديقَه عَلى نَفْسِه"؟
- "قَدَّمَ صَديقَه عَلى نَفْسِه"!
- لأ، "قَدِمَ صَديقَه عَلى نَفْسِه"!
- وَرِّيني!
- أَهِهْ!
- لأ، الكسرة اللي تحت الدال دي غلط!
- وعرفت إزاي من غير ما تشوف؟
- عشان اتعلمت قبلكو! وكل ما تقروا تتعلموا، وتبقوا زيي وأحسن مني كمان!

ثم كبروا، وكبرت أسئلتهم، وصعبت، حتى أشكلت أحيانا؛ فلم أكن أَسْتَحْيي من إجابة مُحْرِجِها دينيةً أو سياسيةً أو جنسيةً، ولا أدعي علم ما لا أعلم منها، بل أتمتع بإنكار علمه، ليعلموا أن العلم لمن اجتهد في سبيل تحصيله، لا لمن أوتي مقام الراعي! وأتمتع بتعريف العلماء لهم، وتقديمهم على نفسي، ليعلموا أن فوق كل ذي علم عليمًا بَذَلَ في طلبه أعظم مما بَذَلَ غيره، ينبغي أن يؤتى دون غيره، ويستفتى، ويعتمد رأيه وحده.

ولقد مَيَّزَتْهُمْ قراءاتهم منذ أَوَّلِيَّتِهِمْ، حتى لاحظها زملاؤهم:

- إنت عارفه -يا ريم- ان الكتب اللي بتقريها بتأثر عليك!
- إزاي يعني؟
- بتخليك تفكري في حاجات غريبه!

وأساتذتهم :

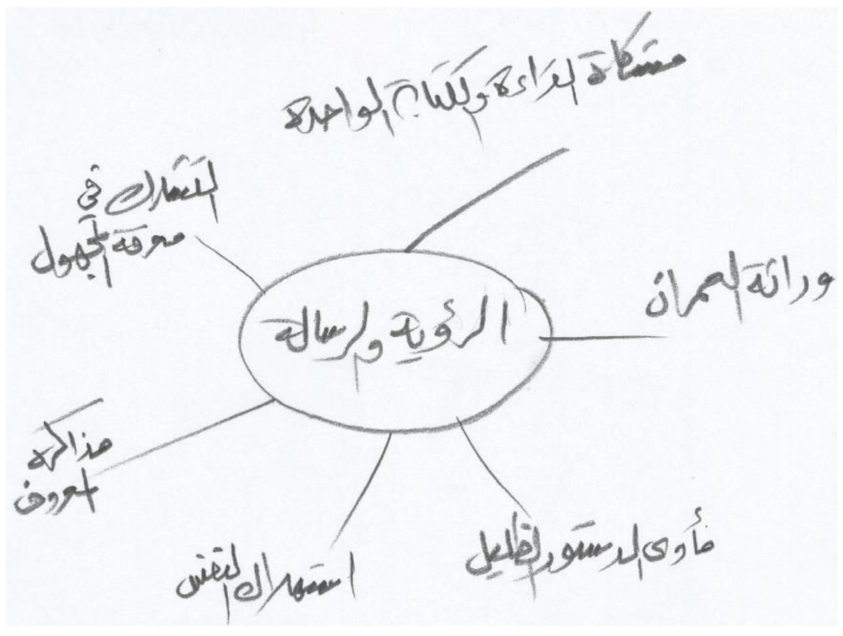
- تعال -يا براء- قول لسعادة الموجه انت قريت لمين!
- قريت للمازني، والعقاد،....
- يا سلام!

وجَرَّأَهُمْ منذ أَوَّليَّتِهِمْ كذلك، مَقامُ القراءة الذي قُمْنا فيه جميعا معا:

- إيه ده، يا رهام!
- إيه فيه إيه؟
- إنت بتكلمي الأستاذ كده إزاي!
- إيه! زي ما بكلم بابا.

دُسْتُورُ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ

الرُّؤْيَةُ وَالرِّسَالَةُ



مِشْكَاةُ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ الْوَاحِدَةُ

تخرج مهارتا القراءة والكتابة من مشكاة واحدة، وسواء أَسْتَوَتْ درجتا ممارستهما أم زادت إحداهما على الأخرى؛ إذ يقرأ القارئ ما كتبه غيره في سياق حصيلته هو القرائية وخبرته الكتابية كلتيهما جميعا، ويكتب الكاتب ما يقرؤه غيره كذلك في سياق

حصيلته هو الكتابية وخبرته القرائية كلتيهما جميعا؛ فلا يجوز في الحكمة أن يُتكلَّم عن إحدى المهارتين دون الأخرى.

وِرَاثَةُ الْعُمْرَانِ

وتنشر القراءة والكتابة على البشر نتائج المشاركة في الحياة السعيدة بعمران الأرض وتوريثها للخالفين كما تمنى السالفون، وإلا ذهبت هباء منثورا ذَهابَ مال نَفِدَ بموت صاحبه بعدما عاش به زمانا رغيدا؛ فبقي أولاده من بعده عالة على غيرهم، يَتَكَفَّفُونَهُمْ ما يمسك رمقهم؛ فلا يعطونهم شيئا حتى يأخذوا أكثر منه!

مَأْوَى الدُّسْتُورِ الظَّلِيلُ

ودستور القراءة والكتابة هو منظومة القوانين العليا المتحكمة فيما يفعله القارئ والكاتب وما لا يفعلانه. وإنما يُحكِّمها فيهما إيمانُهما بها، وتعويلهما عليها، ولجوؤهما إليها قبل القراءة والكتابة وفي أثنائها وبعدهما، مثلما يلجأ المتحصن إلى حصنه؛ فيزول بَلْبالُه، ويهدأ بالُه، ويبدأ احتفالُه!

اسْتِهْلَاكُ النَّفْسِ

ولو لم يكن لمسلك الخالفين فيما يقرؤون ويكتبون، دستور واضح يأوون إليه ويتفيؤون ظله- لم يكن لهم مما استهلكوا فيه أنفسهم غير الجوع والعطش، ثم الندم الذي يُخوِّفه قولُ أمين الجندي (١٧٦٦-١٨٤١):

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إِلَّا سَيَفْنَى وَيَبْقَى الدَّهْرَ مَا كَتَبَتْ يَدَاهُ

فَلَا تَكْتُبْ بِكَفِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ يَسُرُّكَ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ

ورحم الله أبا عبادة البحتري بما نصحنا فيما حدثنا به عن طلبه الشعر قبل لقاء أبي تمام الطائي -رحمه الله!- أنه كان أشبه بالجهد الضائع منه بالفن المتقن، حتي لقيه؛ فوقف منه على أصوله وفروعه وعلاماته؛ فتحقق بها، ودَبَّ في طريقه دَبيبًا، حتى قُدِّمَ عند بعض المشتغلين بالشعر على أبي تمام نفسه!

مُذَاكَرَةُ الْمَعْرُوفِ

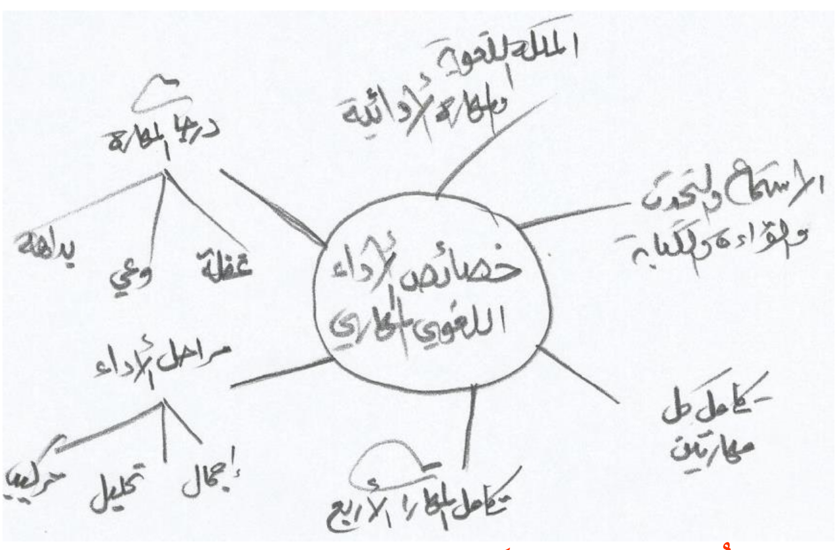
وكثيرٌ مما سبق ويلحق معروف عند كثير من المشتغلين بالقراءة والكتابة، ولكن ينبغي في هذا المقام ألا نمتنع بمعرفته عن

ذكره ومذاكرته؛ فإن في مذاكرة المعروف حسن استهلال وتحبب، وزيادة تأمل وتعمق، وقوة تأسيس وتمهيد.

التَّشَارُكُ فِي مَعْرِفَةِ الْمَجْهُولِ

وليس أخفَّ حِلْمًا ولا أبعد وَهْمًا ولا أَطْيَشَ سهمًا، ممن اقتصر من غيره على مذاكرة المعروف، يظن أنْ قد أحاط بما لديهم وأحصى كل شيء، وهذا عَرَضٌ مِنْ تَأْلِيه النفس، يعرِض لكلِّ غافل -وإن كان أعلم العلماء- فهو عندئذ هَفْوَتُهُ التي تستزلُّه إلى هُوَّة الضلال، ثم تُذِلُّه بتضييع الهدى.

خَصَائِصُ الْأَدَاءِ اللُّغَوِيِّ الْمُهَارِيِّ



الْمَلَكَةُ اللُّغَوِيَّةُ وَالْمُهَارَةُ الْأَدَائِيَّةُ

يولد الإنسان مفطورا على اكتساب أية لغة، ثم يكتسب لغة معينة؛ فتنضاف منها إلى ملكته الكامنة في فطرته معالم جديدة تتطور بها وتتحدد وكأنها لم تخلق من قبل إلا بها، وتظل ممارسته المهارية الأدائية هي مجلى الإنجاز وينبوع التطوير جميعا معا؛ ففي أثنائها تتوالى أحوال الاتباع فالابتداع فالاتباع فالابتداع ... دواليك!

الِاسْتِمَاعُ وَالتَّحَدُّثُ وَالْقِرَاءَةُ وَالْكِتَابَةُ

وليس أجمعَ لأحوال الاتباع والابتداع كلها في المهارة الأدائية من ممارسة الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة كلها؛ إذ في ممارسة الاستماع والتحدث ما يستوعب أحوال الحضور، وفي ممارسة القراءة والكتابة ما يستوعب أحوال الغياب، وليس وراء الحضور والغياب من حالٍ تُطلب.

تَكَامُلُ كُلِّ مَهَارَتَيْنِ

لولا المتحدث ما استمع المستمع والعكس بالعكس، ولولا الكاتب ما قرأ القارئ والعكس بالعكس؛ فمن ثَمَّ تَنضفِرُ مهارتا الاستماع والتحدث في ضَفِيرة أولى، وتَنضفِرُ مهارتا القراءة والكتابة في ضَفِيرة ثانية، ولا يمتنع أن تنقص إحدى طاقتي كل ضفيرة عن صاحبتها ما تَماسَكَتِ الضفيرة واستقامت -فينقص التحدث عن الاستماع في الأولى أو العكس، وتنقص الكتابة عن القراءة في الثانية أو العكس- إذ تقوم الطاقة الزائدة في ضفيرتها على الطاقة الناقصة؛ فتَسُدُّ خَلَلَها.

تَكَامُلُ الْمَهَارَاتِ الْأَرْبَعِ

لا غني بالتحدث عن الاستماع والعكس بالعكس -فهذا قانون المشافهة الطبيعي- ولا بالكتابة عن القراءة والعكس بالعكس؛ فهذا قانون المكاتبة الطبيعي. ولكن ربما وجدنا من يستبدل بالاستماع القراءة أحيانا أو بالتحدث الكتابة، ومن يستبدل بالقراءة الاستماع أحيانا أو بالكتابة التحدث. وعلى رغم ما في هذه الحال من دلالة على غلبة النزعة الاجتماعية، وما في تلك الحال من دلالة على غلبة النزعة الانفرادية- ينبغي التنبيه على ما فيهما جميعا من دلالة على التكامل الأدائي المهاري.

مَرَاحِلُ الْأَدَاءِ

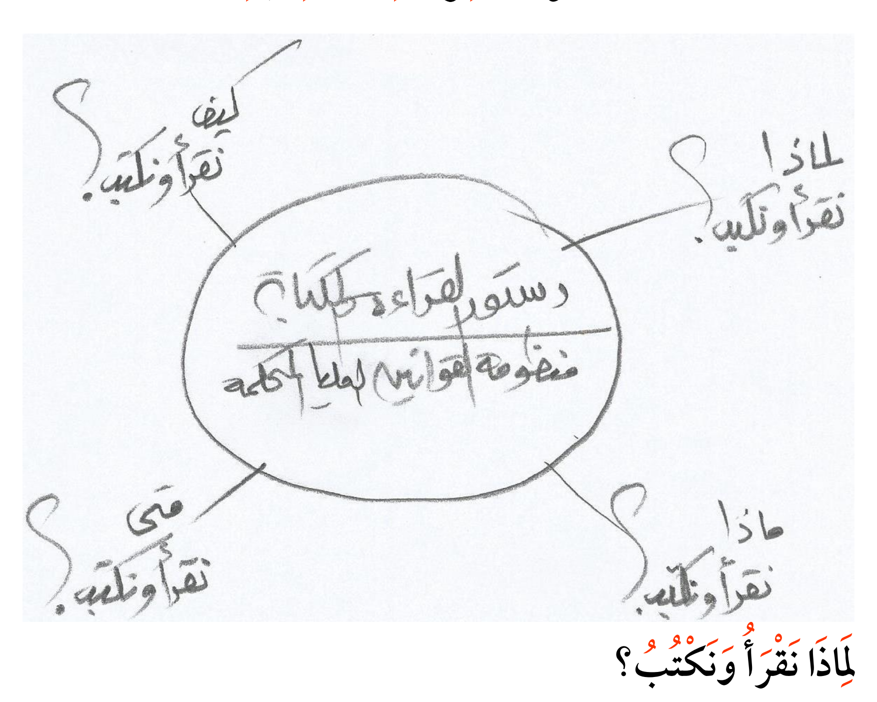
ينبغي التنبيه على أن المستمع والمتحدث والقارئ والكاتب كلهم جميعا، لا يبلغون مقاصدهم اللغوية التركيبية التقويمية ثالثا، حتى يمروا بمرحلة الإجمال التفكيري أولا، ثم بمرحلة التحليل التعبيري ثانيا. وهي ثلاث مراحل نقدية متكاملة؛ فلا غنى بأي منهم عن أن يُلِمَّ أولا بمقصد عمله أو عمل غيره إلماما إجماليا يعرف به مواطئ قدمه فيه، ثم أن يفكِّك عناصر العمل بعضها من

بعض حتى يكتشف تعبيراته من داخله ويميز وظائف كل منها، ثم أن يركِّب عناصره حتى يطمئن إلى مقصده الذي تَآزَرَتْ عليه بحيث يمكنه أن يفصِل في أمره.

دَرَجَاتُ الْمَهَارَةِ

وعلى رغم ما يوحي به مصطلح مهارة من إتقان، تتميز في كل أداء مهاري من هذه الأداءات الأربعة (الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة)، ثلاث درجات واضحة متصاعدة: أولاها دَرَجَةُ الغَفْلَةِ التي يخطئ فيها المؤدي –ولا ينتبه حتى ينبهه غيره– ويصيب، والثانية دَرَجَةُ الوَعْيِ التي يخطئ فيها المؤدي –وينتبه أنه أخطأ من قبل أن ينبهه غيره– ويصيب، والثالثة دَرَجَةُ الْبَدَاهَةِ التي يصيب فيها المؤدي –ولا ينتبه أنه أصاب– ولا يخطئ.

دُسْتُورُ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ



لِمَاذَا نَقْرَأُ وَنَكْتُبُ؟

في طريقي إلى إحدى مكتبات وسط القاهرة سألتُ عَنْهَا شابًّا في الثلاثين، فكأنما كانت سُبَّتَهُ؛ إذ سَبَّ الكتب والمكتبات والقراءة والكتابة والأيام التي عرفها فيها؛ فلم أَرْتَبْ في أنه إنما طلبها لحاجة زائفة ضعيفة زائلة؛ إذ لو كانت دعته إليها دواعٍ أصيلة خارجة من حقيقة نفسه، قوية مؤثرة فيما يأتيه ويذره، باقية مستمرة استمرار وجوده- ما احتمل دونها معيشته، ولَوَجَدَهُ عندئذ والبهائمَ سواء!

مَاذَا نَقْرَأُ وَنَكْتُبُ؟

ولكن ربما تَيسَّرتْ للقراءة والكتابة دواعيهما الأصيلة القوية الباقية، ولم تتيسر لهما مَظانُّهما ومجالاتهما ومراتعهما ومُتَنَفَّساتُهما الحقيقية؛ فلم يجد طالب القراءة ما يقرؤه فيُولَد به ولادة أخرى، ولم يجد طالب الكتابة ما يكتبه فيَلِدُ به ولدا آخر؛ فانطوت تلك الدواعي على نفسها، وذَوَتْ مثلما تذوي في الجَدْبِ الزهرةُ، وجفت، ثم ماتت وكأن لم تكن قط!

مَتَى نَقْرَأُ وَنَكْتُبُ؟

ولكن ربما تَيسَّرتْ للقراءة والكتابة دواعيهما الأصيلة القوية الباقية ومظانهما الحقيقية، ولم يتيسر لهما نظام صادق مُحْكَمٌ يضبط أقدار الأعمال -فلا يُسهِّل منها ما هو صعب، ولا يُصعِّب ما هو سهل، بل يُقدِّر كُلًّا قدرَه- ويرتِّب أولويَّات الأعمال -فلا يقدم الماديات على المعنويات فهذه مِلاك تلك، ولا إفادة الآخرين على استفادة النفس ففاقد الشيء لا يعطيه- ويُحكِّم طبائع الأعمال -فلا يهمل ما في طبيعة القراءة من صعوبة تخمين المراد، ولا ما يُعطِّلها من انكشافها لخواطر النفس، ولا يهمل ما في طبيعة الكتابة

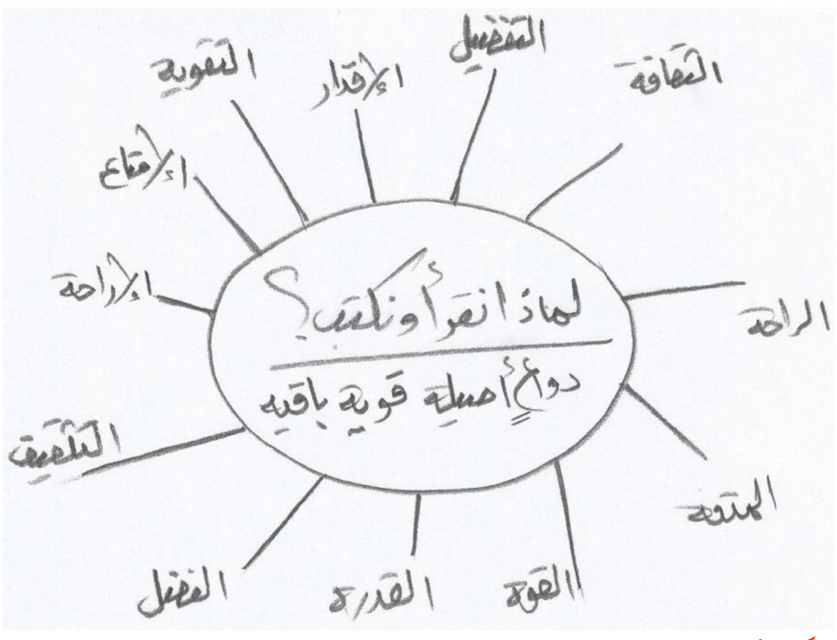
من امتلاك المراد، ولا ما يُؤيِّدها من اجتماع خواطر النفس فيها- ويغلق دوائر الأعمال -فلا يُضيِّع ما في النوم بعقبها دون غيره من تمكين العقل من الاستيعاب- فإذا لم يَتيسَّر لطالبَي القراءة والكتابة مثلُ هذا النظام قلت لديهما جدوى عنائهما، وقعد بهما عنهما العجز.

كَيْفَ نَقْرَأُ وَنَكْتُبُ؟

ولكن ربما تَيسَّرتْ للقراءة والكتابة دواعيهما الأصيلة القوية الباقية ومَظانُّهما الحقيقية ونظامُهما الصادق المُحكَّم، ولم تَتيسَّر لهما شروطهما التي لا يَتفقَّه دونها القارئ فيما يقرأ ولا الكاتب فيما يكتب. ومن لم يتفقه فيما يعمل لم يتقن عمله، ومن لم يتقن عمله خرج من مَظِنَّة المَحبَّة الربانية التي من خرج منها تَخطَّفتْه طيرُ الأخاديع أو هَوتْ به ريحُ الأوهام في مكانٍ سَحيقٍ!

بأجوبة هذه الأسئلة القُطْبيَّة الأربعة المترتبة، تنتظم منظومة القوانين العليا المتحكمة (دستور القراءة والكتابة)؛ فيبدو السعي في سبيلها رُقِيًّا في مدارج السالكين، من مقام اللماذا، إلى مقام الماذا، فمقام المتى، فمقام الكيف!

لِمَاذَا نَقْرَأُ وَنَكْتُبُ؟



الثَّقَافَةُ

من دواعي القراءة والكتابة الثقافة (العقيدة، وما اشتمل عليها، وتولد منها، ونشأ لها من علوم ومعارف وخبرات، وأقوال وأفعال وإقرارات، منذ اعتُقِدت إلى يوم تُطْلَب)، التي يطلب بها كل متثقف تنوير بصيرته وتهذيب مسلكه وتعميق إنسانيته، بقراءة تراثها، والكتابة فيه كلتيهما جميعا. فأما التثقف بالقراءة فواضح معروف مسلَّم -إذ يطَّلع بها القارئ على مُتَثَقَّفاته- وأما التثقف بالكتابة فكالغامض المجهول المنكر، على رغم ما تقتضيه الكتابة

في الشيء من تأمل طبائعه وخصائصه ومعالمه والاجتهاد في تدقيق وصفه وتصحيح تفسيره! وهل أَوْجَهُ من ذلك تَثقُّفًا أو أرجح أو أسمح! أم هل أدل عليه من حرص بعض نَحارِيرِ أساتذتنا إذا ما استطلعنا رأيه في شيء، على ألا يقضي حتى نكتب له فيه؛ فلقد علم أننا نُحصِّل بهذه الكتابة ما يكفيه مَؤونةَ إقناعنا أو يريحه من ثقلها!

الرَّاحَةُ

ومن دواعي القراءة والكتابة الراحة (التخفف من الجواثم المادية والمعنوية)، التي يطلب بها كل مُتروِّح مشاركة غيره فيما يعانون، أو إشراكهم فيما يعاني. وبالقراءة يشاركهم؛ فيطلع من مصائبهم على ما يُرقِّق لديه مصائبه -وما أكثر ما ضاقت بي الأرض؛ فلم تتسع بسوى ما أقرأ لغيري- وبالكتابة يشركهم؛ فيبوح لهم بما يشرح له صدره، وييسر أمره؛ وما أكثر ما اكتأبت؛ فلم ينجني سوى الكتابة في الموقف المُكْئِب، وكأنما أستعيده لأعدل منه وأتحكم فيه:

"عِشْ أَلَقًا وَارْتَكِبْ

قَصِيدَةً وَامْضِ

زِدْ سَعَةَ الْأَرْضِ"!

الْمُتْعَةُ

ومن دواعي القراءة والكتابة المتعة (السرور والبهجة)، التي يطلب بها كل متمتع هزة جسمه وطرب نفسه. فأما التمتع بالقراءة فواضح معروف مسلم -إذ يطَّلع بها القارئ على مَسارِّه ومباهجه- وأما التمتع بالكتابة فكالغامض المجهول المنكر على رغم اجتماع الناس فيمن أمتعهم على أنه لو لم يَتمتَّع لم يُمتِع، وأنه يظل يُركِّب عناصر المتعة ويُحكِم أمرها ولا يقبل شيئا منها حتى يطرب لتركيبه المحكم فيها أولا ويهتز! ولا ريب في أنه ربما تمتع المُتثقِّف بما اهتدى إليه بعد ضلال طويل من ثقافة، والمُتروِّح بما اهتدى إليه بعد عناء مُعَنٍّ من راحة -وإن لم يكن هذا ولا ذاك في عُرْف الناس من مَظانّ المتعة- ومن طريق هذين الاحتمالين جوابُ من سُئل: فِيمَ مُتْعَتُكَ؛ إذ قال: "فِي حُجَّةٍ تَتَعَاظَمُ اتِّضَاحًا، وَشُبْهَةٍ تَتَضَاءَلُ افْتِضَاحًا"!

الْقُوَّةُ

ومن دواعي القراءة والكتابة القوة (امتلاء المتخصص في نفسه بمفردات تخصصه، امتلاء يشغل فوارغ جسمه وروحه)، التي تُمكِّن كلا القارئ والكاتب في مكانه، وتُرجِّحه في ميزانه؛ فيقتنع هو بنفسه من قبل أن يقتنع به غيره -وإلا شالَتْ نَعامَتُه، وخفَّت قيمتُه؛ فلا يقوم في مَعمَلِه إلا كما يقوم المُقحَم، ولا يكلف بشيء إلا سُقِطَ في يده وحَبَسَه مثلُ حابس الفِيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله!- فيهون عليه أن يقرأ أصول تخصصه وفروعه وعلاماته ويكتب فيها غير كالٍّ ولا مالٍّ، حتى إن من يطلع عليه بعدئذ في معمله يميزه من زملائه الذين لا يقرؤون ولا يكتبون، بما يَتوقَّدُ وينطفئون، ويعِزُّ ويذِلُّون.

الْقُدْرَةُ

ومن دواعي القراءة والكتابة القدرة (فَيْضُ المتخصص على غيره بالعمل المستفاد من تخصصه، فيضا يخصب به الجَدْب، ويعم النَّفْع)، التي تمكن القارئ والكاتب كليهما من إنجاز كل ما اشتمل عليه تخصصه، من بعد أن كان حبيس قوته، وكأنما قدرته

عليه هي تصديق العمل الذي يدرك ما وقر في القلب؛ فيكتمل بهما معا عندئذ الإيمان الذي نبه عليه الحديث النبوي الشريف المعروف؛ فيهون عليه أن يأتمَّ في القراءة والكتابة بأصول تخصصه وفروعه وعلاماته، ائتمامَ من يقيس الحاضر على الماضي .

الْفَضْلُ

ومن دواعي القراءة والكتابة الفضل (تَدفُّق المتخصص بما يجاوز العمل المستفاد من تخصصه، تدفقا يرتفع به تياره إلى القمم العالية)، الذي يمكن كلا القارئ والكاتب من إبداع ما لم يشتمل عليه تخصصه؛ فيرود لغيره مجاله الذي أضله ولم يهتد إليه، وينمي لتخصصه تراثه الذي إن لم ينم جف وذوى وهوى؛ فيهون عليه أن يتحدى في القراءة والكتابة أصول تخصصه وفروعه وعلاماته، تحدي من يعدو بالحاضر المبني على الماضي إلى المستقبل .

تَقْدِيمُ الْمَعْنَوِيَّةِ عَلَى الْمَادِّيَّةِ

على رغم اختلاط العناصر المعنوية والمادية في كل داع من دواعي القراءة والكتابة، بحيث يصعب ادعاء خُلوصِ بعضها للمعنوية وبعضها للمادية- تغلِبُ المعنويةُ على دواعي الثقافة

والراحة والمتعة، والماديةُ على دواعي القوة والقدرة والفضل؛ ومن ثم ينبغي أن تتقدم في تقدير طالب القراءة والكتابة الثلاثةُ الأولى كما سبق بما لها من صفة التأصيل الداخلي، وتتأخر الثلاثةُ الآخرة بما لها من صفة التفريع الخارجي.

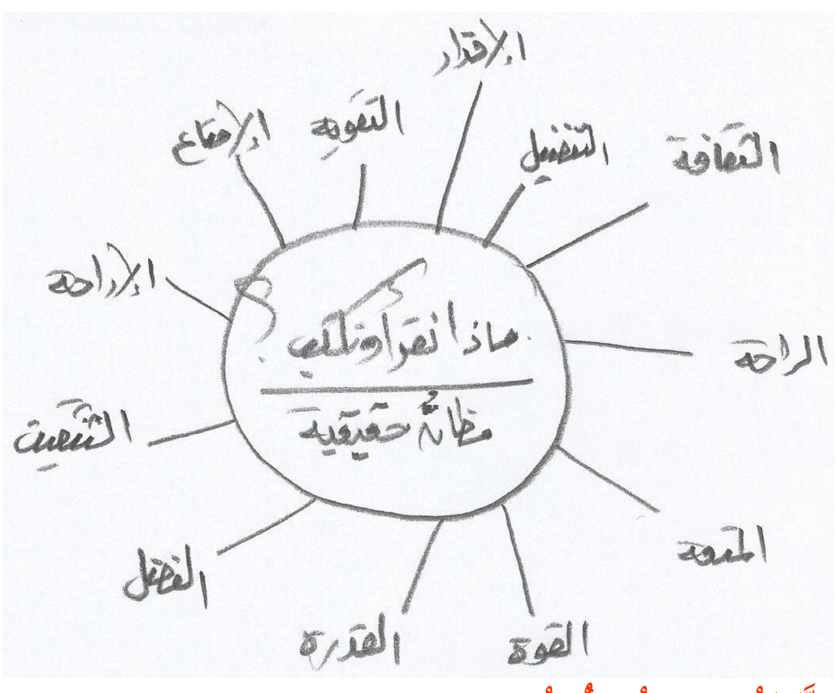
بِنَاءُ الْعَامَّةِ عَلَى الْخَاصَّةِ

والثقافة والراحة والمتعة والقوة والقدرة والفضل، كلُّ أولئك دواعٍ خاصةٌ لا تتجاوز صاحبها المشتمل عليها؛ فهي تشغله بنفسه وكأنْ ليس ثم غيره. فأما التثقيف والإراحة والإمتاع والتقوية والإقدار والتفضيل، فدواعٍ عامةٌ تتجاوز صاحبها المشتمل عليها، وتشغله بغيره الذي لا حياة له دونه ولا غنى به عنه، ولكنها لا تعمل حتى تستوفي عملها الدواعي الخاصة -إذ فاقد الشيء لا يعطيه- فلا يثقِّف حتى يتثقَّف، ولا يُريح حتى يَستريح، ولا يُمتع حتى يَستمتع، ولا يُقوِّي حتى يَقْوى، ولا يُقدِّر حتى يَقدِر، ولا يُفضِّل حتى يَفضُل.

زِيَادَةُ الْعَامَّةِ عَلَى الْخَاصَّةِ

ومن قرأ بدواعي نفسه وكتب أوشك أن يكتفي، فأما من قرأ بدواعي غيره وكتب فلا يُظَنُّ أن يكتفي؛ إذ لا تتطابق طبيعتان -ولو كانتا طبيعتَي ابْنَيْهِ التَّوْأَمَيْنِ- وإذا اختلفت الطبائع اختلفت الدواعي، فاستمرت باختلافها القراءة والكتابة ما تحملَ مسؤوليتَه طالبُ القراءة والكتابة؛ فإنه لا يدري ما يُسأَلُ غدا، ولاسيما أنها مسؤوليةٌ تُتَحَمَّلُ ولا تُفرض، وأن المسؤول هو من يبادر إلى تحملها، لا من يوضع في موضعها!

مَاذَا نَقْرَأُ وَنَكْتُبُ؟



الثَّقَافَةُ وَالرَّاحَةُ وَالْمُتْعَةُ

لا ريب في وجوب ذكر القرآن الكريم والنثر الشريف والشعر النفيس في مَظانِّ الثقافة والراحة والمتعة القرائية -فليس أَجْلَبَ لها أبدا مِن تَوْرِيد أورادها اليومية التي لا تكاد تنتهي حتى تبدأ؛ فإذا هي مِزاجُ أصول الوعي القرائي العربي- ولكنني أوثر التنبيه معها على ما نشأ لها وتفرع منها وانبنى عليها من إضافات المثقفين، مثل كتب البَوْح الجِهادي ومن أقدمها كتاب "الرِّعاية

لحقوق الله"، للحارث المحاسبي (المُسمَّى بكثرة محاسبته نفسه)- وإضافات المُروِّحِين، مثل كتب السير الشخصية -ومن أقدمها رحلة الشافعي إلى مالك بن أنس (الواقعة في أثناء "ثمرات الأوراق" للحموي)- وإضافات المُمْتِعين، مثل كتب الأدب الساخر -ومن أقدمها رسالة "التربيع والتدوير" للجاحظ- وأما أحدثها جميعا فمستمر إلى ما تشتمل عليه الآن بعض المواقع الإلكترونية، ومنها موقعي هذا: www.mogasaqr.com.

وعلى منوال هذه المظان القرائية تنتسج بردة المظان الكتابية -ولو لم تنتسج لكان كافيا لطالب الكتابة أن يعلق على ما يقرأ؛ فإنه عندئذ كمن يشارك الكتّاب فيما يكتبون- حتى يستنبط كتابته الملائمة الخاصة من بين ما تلَقّاه وما جَرّبه .

الْقُوَّةُ وَالْقُدْرَةُ وَالْفَضْلُ

ومن مَظانّ القوة القرائية جوامع مفردات التخصص - ومنها مُجمهَرات كبيرة، يحرص مجتهدو المتخصصين على قراءتها كل عام- أما مَظانّ القوة الكتابية فمتعرضة لمن اشتغل بتلخيص مفردات تلك الجوامع التخصصية. ومن مَظانّ القدرة القرائية

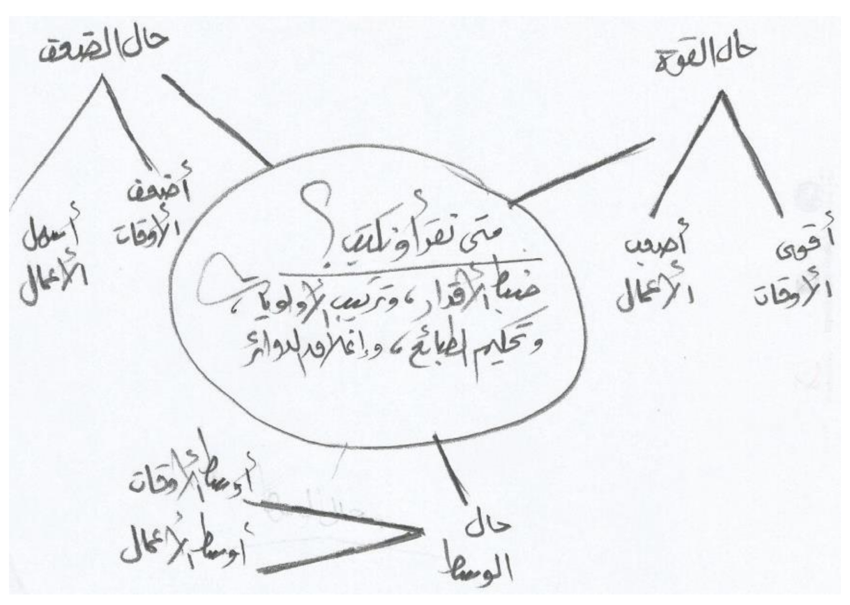
جوامع مشكلات التخصص- وهي مقالات متفردة بما فيها، يتنافس في جمعها متقنو المتخصصين، ويحرصون على استيعابها- أما مَظانّ القدرة الكتابية فمتعرضة لمن اشتغل بحل أشباه هذه المشكلات .ومن مَظانّ الفضل القرائية مفاصل التخصصات - وهي مواضع مترددة بين التخصصات، متنازع عليها أو على بعضها، يتعلق بها متطلعو المبدعين- أما مَظانّ الفضل الكتابية فمتخفية بحُجُب الانقسام بين المتنازعات، تنتظر من يَلُمُّ شَعَثَها، ويَرأَب صَدْعَها، ويَسبُر غورها، فيَستنبِط سِرَّها .

مِنَ التَّثْقِيفِ إِلَى التَّفْضِيلِ

ولقد ينبغي لمن جرب من المهتدين ما في الغفلة عن مَظانّ الثقافة والراحة والمتعة والقوة والقدرة والفضل، من تِيه فشُرود ففَقْد -ألا يسكت على غفلة ولا يفرح لفقد، إلا أن يريدهما، ولا يريدهما إلا عدو! فأما الصديقُ الحريصُ على صديقه، الأخُ المحبُّ لأخيه- فيوسع له من نفسه، ويتحرى مصلحته حتى يثق فيه، وينصت إليه حتى يتبين حوائجه القرائية والكتابية؛ فيدله على مَظانّها التي تَسُدّ حوائجه، مثلما وجد ما سَدّ حوائجه؛ ولن يقدر

على تلك إلا من قدر على هذه! وهل أعجب ممن قرأ كتاب رحلة الدكتور مصطفى محمود من الشك إلى الإيمان، ثم ذهب يطلب الشك توصلا إلى الإيمان، وهو إنما وضع كتابه في الاستغناء بالإيمان عن الشك !

مَتَى نَقْرَأُ وَنَكْتُبُ؟



نِظَامُ الصَّلَوَاتِ

زعم زاعمٌ مسموعٌ أن العقاد (الأستاذ الكاتب الأديب الفذ عباس محمود)، قرأ سبعين ألف كتاب، فأعجبني ما زعم؛ وذكرت نظام يومه القرائي الكتابي المُحكَم، وأنه كأنه سئل فيه؛ فرده إلى نشأته في أسرة عربية مسلمة منظمة الأعمال بالصلوات: تقوم لصلاة الفجر فتصلي وتفطر ثم تشتغل بأعمالها إلى صلاة الظهر، لتصلي وتتغدى وترتاح إلى صلاة العصر، لتصلي وتشتغل بأعمالها إلى صلاة المغرب، لتصلي وتتعشى إلى صلاة العشاء،

لتصلي وتنام إلى صلاة الفجر، وهكذا دواليك! ولا ريب في أنها كانت -وقد اطلعت من عائلتي على مثلها- إذا حَزَبَها عملٌ طارئ بَذلَتْ له مِمّا قبل العصر ومِمّا قبل العشاء ومِمّا بعدها، من هذه الأوقات الثلاثة كلها أو بعضها .

وعلى رغم ضلال أكثر العرب المسلمين الآن عن نظام صلواتهم، واستفادة غيرهم منه دونهم ما تقدموا به عليهم- يستطيعون مراجعته إذا صح عزمهم على تغيير ما بأنفسهم، حتى يغير الله ما بهم.

تَفَاوُتُ الْأَوْقَاتِ

لقد انقسمت أوقات العمل فيما سبق على قسمين كبيرين يجوز أن تنضاف إليهما ثلاثة الأقسام الصغيرة المنتزعة من أوقات الطعام والراحة. ولا ريب في أن أقوى هذه الأوقات كلها ما كان بعقب الراحة المتمكنة الكافية، ولا في أن أضعفها ما كان أبعد من الراحة، ولا في أن أوسطها ما كان بعقب راحة غير تلك المتمكنة الكافية؛ إذ في أثناء الراحة يستجمّ الذهن؛ فيُقِرّ ما تَلَقّاه من قبلُ في مَقارِّه، ويتجهز لتلقي غيره.

تَفَاوُتُ الْأَعْمَالِ

وعلى رغم ما في طبيعة القراءة من صعوبة تخمين المراد ومن انكشافها لخواطر النفس، وما في طبيعة الكتابة من امتلاك المراد ومن اجتماع خواطر النفس فيها- تتفاوت لدى القارئ -وكذلك الكاتب- أقدارُ أعماله المرجوة -مهما كانت قوته وقدرته وفضله- تَفاوُتَ ملاءمتها له وإقباله عليها وخبرته بها؛ فيستسهل منها، ويستصعب، ويستوسط، وليس أعلم منه بذلك، إلا أن يكون ذاهلا غافلا -ولا قراءة ولا كتابة لغافل أو ذاهل- فلا يَستكينَنَّ قارئٌ أو كاتب أبدا لأوهام أنفسهما، ولا لأهوال غيرهما.

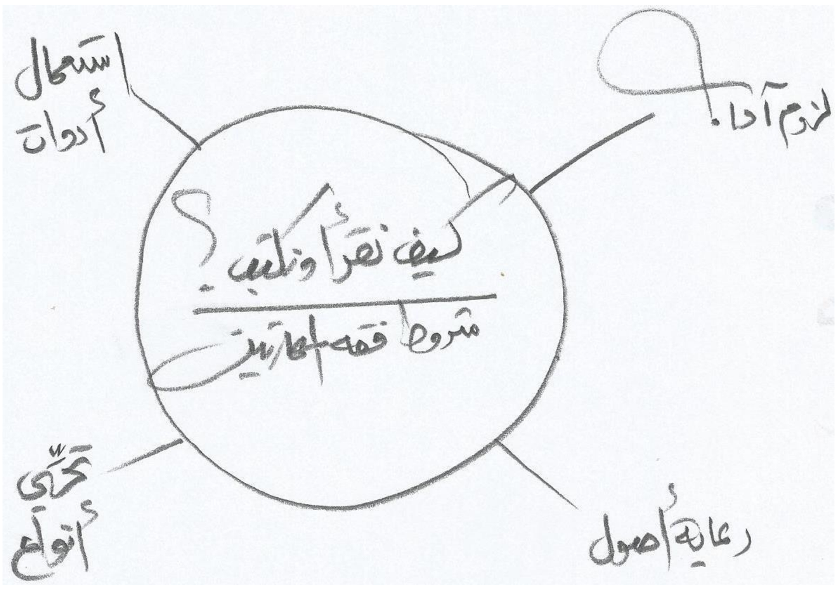
تَفَاوُتُ الْأَحْوَالِ

من ثم ينبغي لطالب القراءة والكتابة أن يلائم الأوقات بالأعمال، فيؤثر العمل الصعب بالوقت القوي، والعمل الوسط بالوقت الوسط، ليستقل الوقت الضعيف بالعمل الضعيف- وإلا اضطربت أحواله، وضاعت أوقاته وأعماله!

ولقد جريتُ في ذلك على منهجين؛ فمرةً أجعل للقراءة يوما وللكتابة يوما، ومن داخل كل منهما أُلائِمُ بأعماله المتفاوتة

صعوبة وسهولة أوقاتَ يومه المتفاوتة قوة وضعفا. ومرةً أجمع كل يوم بينهما، بحيث يكون للقراءة الوقت القوي، وللكتابة الوقت الضعيف، على أن ينقسم بينهما الوقت الوسط .

كَيْفَ نَقْرَأُ وَنَكْتُبُ؟



لُزُومُ آدَابِ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ

وآدابهما هي طائفة الأخلاق المحيطة بممارستهما، التي تَراكَمَ في خبرة ممارسيها حسنُ تقديرهم لقيمتها، بعدما تواترت أجيالُهم على التخلُّق بها، وتعودت أجيالُ مُراقِبيهم على الارتياح إليها منهم؛ فكل قارئ أو كاتب لم يلزمها فَكَالْمُتَسَوِّر الداخل من غير باب، يظلّ قلق البال حيران الفؤاد، لا يرتاح، ولا يريح.

رِعَايَةُ أُصُولِ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ

وأصولهما هي ينابيعهما التي تُنشئ وجودهما، وترعى بقاءهما، ويُحتكَم إليها في تخطيئهما وتصويبهما؛ فكل قارئ أو كاتب لم يرعها فكالأعجم بين الأعاريب، يستحق دون الشُّعرور القديم أن يقال فيه:

الشِّعْرُ صَعْبٌ وَطَوِيلٌ سُلَّمُهْ
إِذَا ارْتَقَى فِيهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهْ
زَلَّتْ بِهِ إِلَى الْحَضِيضِ قَدَمُهْ
يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهْ

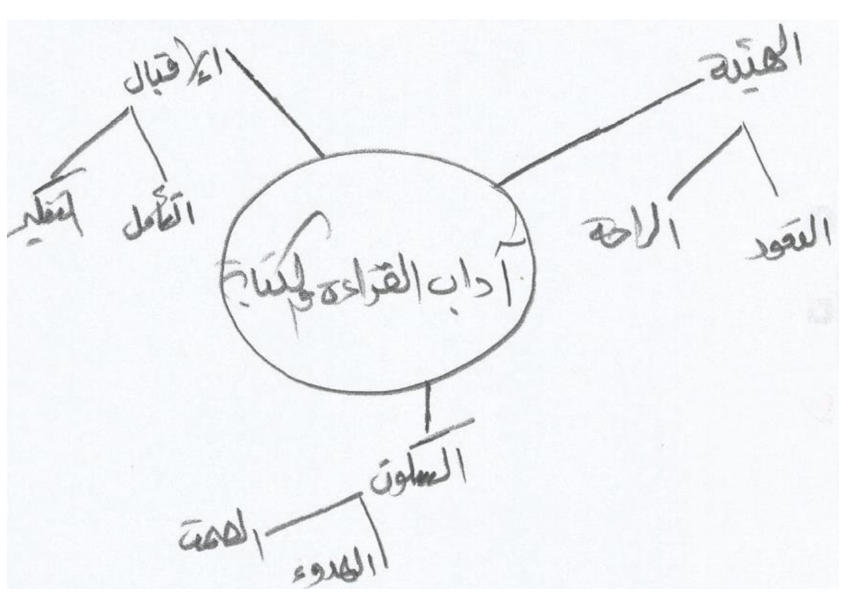
تَحَرِّي أَنْوَاعِ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ

وأنواعهما هي صنوفهما المتعددة تعددَ الحاجة إليهما؛ فليس كل ما يَخطُر يُكتَب -فرُبَّ كلمة سَلَبَتْ نعمة- ولا كل ما يكتب يقرأ -فرُبَّ كلمة حَيَّرَتْ أمة- فكل قارئ أو كاتب لم يتحرَّها فكَمَنْ أُوتي مالًا سُلِّط على هَلَكَتِه في الباطل، أو كمن يَغْرِس في غير مَنْبِت، أو ينفخ في غير فَحْم!

اسْتِعْمَالُ أَدَوَاتِ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ

وأدواتهما هي طائفة الحِيَل المُتغلغِلة في ممارستهما، التي تراكم في خبرة ممارسيها عِظَمُ تقديرهم لقيمتها، بعدما تواترت أجيالُهم على الاعتماد عليها، ولو اطَّلَع على إهمالهم لها مُراقبوهم لطالبوهم بها؛ فكل قارئ أو كاتب لم يستعملها فَكَالْمُسْتَقِي بمُنخُل، لا يصل ولا يوصل، أو "كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ"؛ صدق الله العظيم !

آدَابُ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ



الْهَيْئَةُ

ما أكثر ما قرأتُ وكتبتُ في السفر وهو قطعة من العذاب؛ فما خَفَّ شوقي إلى أن أقرأ وأكتب في الحَضَر قاعدًا حيث تعوَّدتُ، مرتاحا من كل نَصَبٍ إلا نَصَبَ التفكير والتعبير؛ فقد جربت الحالين مثلما جربهما سائر القراء والكتاب؛ فلم أنخدع ببهجتي بغنيمة السفر القرائية أو الكتابية، عن وظيفة الحضر -وشَتَّانَ ما هما: تلك عارضةٌ قريبةٌ، وهذه باقيةٌ عميقةٌ- بل ظَلِلْتُ أعجب

ممن ذهب يعالج بالوُقوف والتَّعب خُمولَه ولم يرجع، ولو ذاق قراءة القعود والراحة وكتابتها لَعَرَفَ فَرْقَ ما بين الجد والهزل!

السُّكُونُ

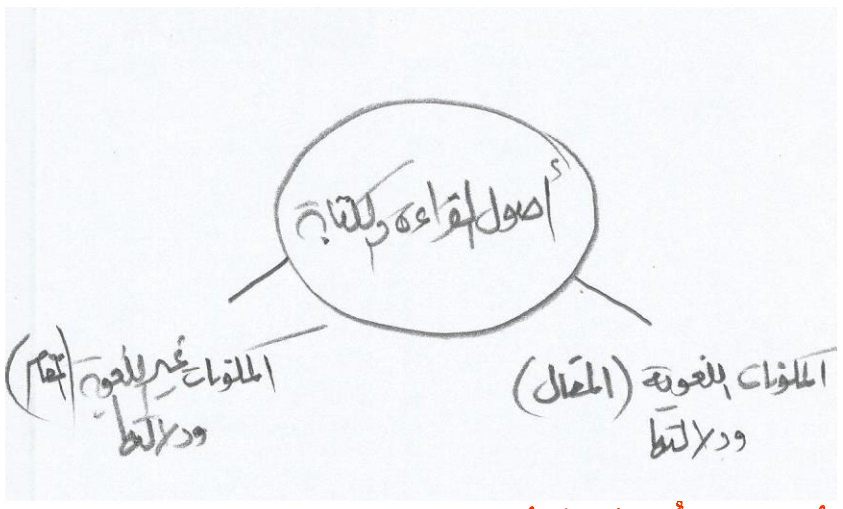
ربما بلغ الاشتغال بالقراءة والكتابة أن يَكْتُمَ صاحبُها أحيانا نَفَسَهُ، حرصا على التقاط خواطرهما؛ فكيف بمن لا يزال يُحرِّك جسمَه أو يُنطِق لسانَه! أما الأول فكمن يَحدُو في السفر لِينسى قلقَه -ولو وَقَّرَ القراءةَ والكتابةَ لَوَقَّرَتَاه، فاستقر جسمه- وأما الآخر فكمن يحكي ما لا يعنيه، ولو عَنَتْهُ القراءةُ والكتابةُ لَصَمت لسانُه في حضرة عقله!

الْإِقْبَالُ

يحتاج التقاطُ خواطر القراءة والكتابة إلى تَسليط العين والعقل كليهما إلى صفحة المقروء والمكتوب، حتى يتعاونا على تجاوز مراحل الإجمال والتحليل والتركيب، بتبيُّن أعمال التحديد والترتيب والتهذيب. ولا خير في الانصراف عنها إلى صفحة الخيال إلا فيها -ففيها تحقيق الحقائق، وفيها تخييل الخيالات- وإلا انقلب الخيال شرودا بعيدا، مثلما تحتجب الحقائق. ولا حُجَّة في

المعروف عن بعض كبار المفكرين من انقطاعه للتفكير الباطن مدة ثم انتقاله إلى تسجيل ما حصَّله؛ إذ قد بلغ عندئذ مِنِ احتفاز الطاقات المجتمعة ما لا يُقاس عليه ولا يَدوم له .

أُصُولُ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ



الْمُكَوِّنَاتُ اللُّغَوِيَّةُ (الْمُقَالُ) وَدَلَالَاتُهَا

لم يكن للغة إنسانية منطوقةً مكتوبةً أن تتكوَّن، لو لم تتكون فيها الأصوات (المفردة: الصوامت وأشباهها والصوائت وأشباهها، والمقاطع: القصيرة والطويلة والمستطيلة والمتطاولة)، التي تتكون منها الصيغ (أبنية الأسماء والأفعال والحروف)، التي تتكون منها المركبات الصغرى (أبنية التعبيرات والجمل)، التي تتكون منها المركبات الوسطى (أبنية الفقر والنصوص)، التي تتكون منها المركبات الكبرى (أبنية الكتب والجماهر).

ولم يكن لهذه المركبات الكبرى أن تُعتَبَرَ لو لم تكن لها دلالاتها التي تتكون من دلالات المركبات الوسطى التي تتكون من دلالات المركبات الصغرى التي تتكون من دلالات الصيغ التي تتكون من دلالات الأصوات.

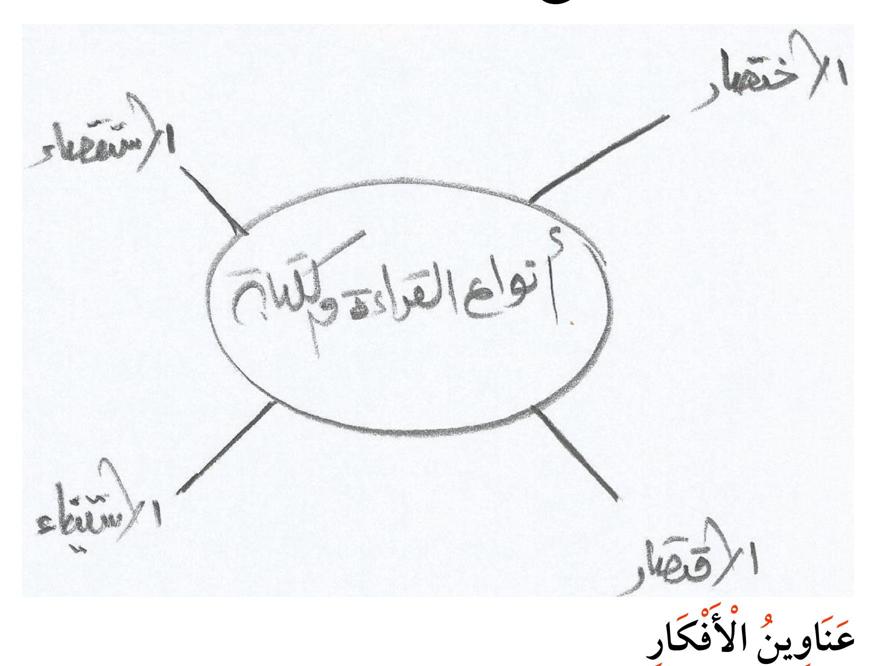
وكما تتابعت حركاتُ وجودها المستقيم، تتتابع حركاتُ وجودها المنحرف، إذا أَخَلَّ برعايتها قارئ أو كاتب؛ إذ تنحرف الأصواتُ ودلالاتُها؛ فتنحرف الصيغُ ودلالاتُها، فالمركباتُ الصغرى ودلالاتُها، فالمركباتُ الوسطى ودلالاتُها، فالمركباتُ الكبرى ودلالاتُها، وتضيع بين الملقي والمتلقي رسالةُ القراءة والكتابة، مثلما تضيع رسالةُ الاستماع والتحدث .

الْمُكَوِّنَاتُ غَيْرُ اللُّغَوِيَّةُ (الْمُقَامُ) وَدَلَالَاتُهَا

ولم يكن للمكونات اللغوية (المقال) ودلالاتها، أن تؤدي رسالة القراءة والكتابة كاملة، حتى تنضاف إليها المكونات غير اللغوية (المقام) ودلالاتها، التي تخالطها وتحيط بها وليست منها، من مثل حقيقة القارئ والكاتب أنفسهما، وزمان القراءة والكتابة، ومكانهما...؛ فهذا محمد جلال كشك صاحب "ودخلت الخيل

الأزهر"، يُصدِّر كتابه "كلام لمصر"، الذي ظهر لي قريبا فجأة، بقوله: "لَيْسَ المُهِمَّ أَنْ تَقُولَ، بَلْ مَتَى تَقُولُ! وَهَذِهِ بَعْضٌ مِنْ أَقَاوِيلَ قُلْنَاهَا يَوْمَ عَزَّ الْكَلَامُ"! ولَئِنْ تَعلَّقَ بقيمة زمان المقال إنَّ مكانه وكاتبه وقارئه وغيرها لمما ينبغي أن يُعتبَر. ولا اعتراضَ بكلمة سيدنا علي -كرم الله وجهه- هذه الشريفة: "إِنَّ الْحَقَّ لَا يُعْرَفُ بِالرِّجَالِ؛ اعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ"؛ فهي في غير مقام الشهادة الذي لا غنى فيه عن التمييز بين أقدار الرجال !

أَنْوَاعُ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ



عَنَاوِينُ الْأَفْكَارِ

أدركتُ مُدرِّسي التعبير يعلموننا التَّلبُّث قليلا أو كثيرا بين يدي الكتابة حتى نحدد الأفكار التي سنكتب فيها ونرتبها ونهذبها، يسمونها عناصر الموضوع، وينصحون لنا أن نكتبها بين يديه. ثم أدركتُ أنهم ربما أرادوا الاكتفاء بها في تقدير درجة التعبير أو جدارته بالقراءة. ثم اطلعت فيها بعد على من يحرص في كتابته على تقديم عنوان ما سيفصل شأنه، وأعجبني ما فعل؛ فصرتُ

أضيف مثل هذه العناوين إلى ما يفتقدها ممّا أقرأ، ثم صرتُ أحرص عليها فيما أكتب .

إِطْنَابُ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ

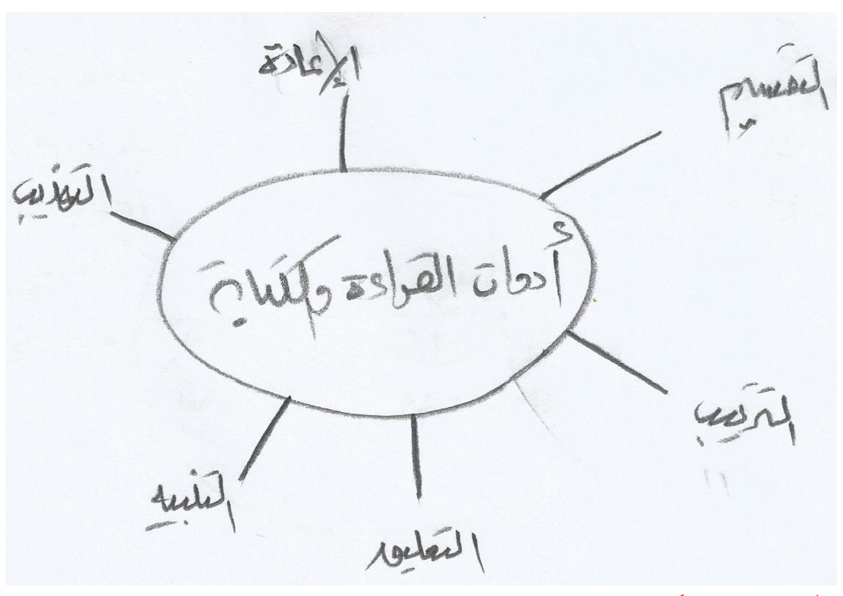
وينبغي لمن كان في سعة من وقته وبسطة في جهده وحظوة بمراده، أن يستوفي القراءة والكتابة، أو أن يستقصيهما؛ وهذا أضعف الإيمان! أما الاستيفاء فهو قراءة عناوين الأفكار كلها أو كتابتها هي وما تحتها من تفصيل. وأما الاستقصاء فهو قراءة أحد عناوين الأفكار وحده أو كتابته هو وما تحته من تفصيل في كل مورد، أو من كل وجه.

إِيجَازُ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ

ولا حَرَجَ على من لم يكن في سعة من وقته أو بسطة في جهده أو حظوة بمراده، أن يختصر القراءة والكتابة أو أن يقتصر منهما؛ وهذه هي الغنيمة الباردة. أما الاختصار فهو قراءة عناوين الأفكار كلها أو كتابتها دون ما تحتها من تفصيل. وأما الاقتصار فهو قراءة أحد عناوين الأفكار وحده أو كتابته هو وما تحته من تفصيل.

وكما يُمتدَح كلُّ من تَيسَّر له أن يستوفي ما عليه أو أن يستقصيه، ينبغي أن يُمتدَح كل من لم يتيسر له إلا أن يختصر ما عليه أو أن يقتصر منه، ما تَعاورتْ عليه الأنواعُ الأربعة في الأحوال المختلفة؛ فبَذَلَ لكل حال ما يلائمها. أما من يتمسك بنوع واحد على اختلاف الأحوال فهو الذي ينبغي ألا يمتدح؛ إذ قد انقاد للعادة، واستكان إلى الخمول، ولا حول ولا قوة إلا بالله !

أَدَوَاتُ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ



التَّقْسِيمُ وَالتَّرْتِيبُ

لن يتقن كاتبٌ مكتوبه حتى يقسِّم أفكاره فيحسن تقسيمها، ثم يرتِّبها فيحسن ترتيبها؛ فمن الكُتاب من يقسمها على مقدمات ونتائج مثلا، ثم يرتبها صعودا من المقدمات إلى النتائج، أو هبوطا من النتائج إلى المقدمات، أو دَوَرَانًا من مقدمات إلى نتائج فمقدمات فنتائج، ولاسيما إذا أراد الإيحاء بتَرَدُّدها على الزمان. ولن يستوعب قارئٌ مقروءه حتى يتلبَّث قليلا ليميز تلك

الأفكار وموضع بعضها من بعض؛ فإذا فعل به ذلك اشتملَ عليه اشتمالَ الوِعاء على ما يَعِي .

التَّعْلِيقُ وَالتَّنْبِيهُ

ومما يساعد القارئَ على استيعاب مقروئه، أن يُعلِّقَ على حواشي أقسامه عناوينَ أفكارها، أو يُميِّزَ بالتخطيط أو التلوين من عبارات أقسامه ما يَتنزَّل عنده بمنزلة عناوينها. وربما سبق الكاتبُ في أقسام مكتوبه إلى عنونة أفكارها أو تخطيط ما يَتنزَّل عنده من عباراتها بمنزلة عناوينها؛ فأغنى القارئَ عن ذلك؛ فانصرف إلى تعليق ما يُؤلِّف بينه وبين مقروئه، من أفكاره الموافقة أو الموازية أو المقابلة.

التَّهْذِيبُ وَالْإِعَادَةُ

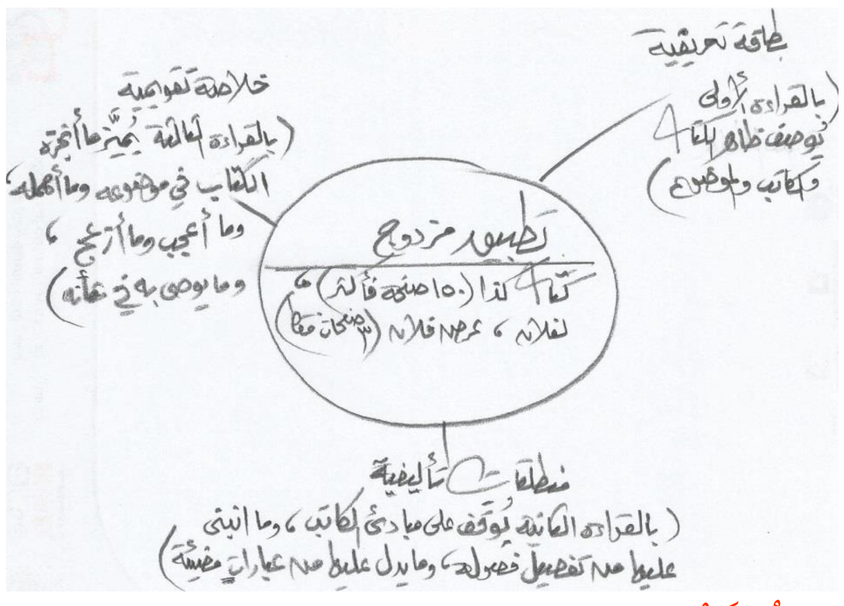
ولقد ينبغي لكل قارئ وكاتب ما دام في المقام، ألا يَتحوَّل عما بين يديه حتى يوقن به ويطمئن إليه. ولا حَرَجَ على أيٍّ منهما إذا اختل منه قسم، أن يعيده وحده -وهذا عين التهذيب- ولا إذا اضطرب منه التقسيم كله أو الترتيب، أن يعيد قراءة مقروئه كله أو كتابة مكتوبه. ولا يَمنعنَّه من ذلك خشيةُ توالد الأفكار

وتكاثرها عليه؛ فإن هذا عين التوفيق! وليس ألطف في سياق هذا المعنى مما عاناه الأستاذ عباس محمود العقاد القارئ الكاتب المنهوم الفذ؛ فقد اضطر مرارا إلى أن يترك مكتبته، إلى سجن من سجون الحَضَر أو السَّفَر، ليفتقدها، فيشتري ما يتيسر له من كتب، لينقطع إليها وحدها على رغمه، يعيد، ويزيد، فكان يستفيد كل إعادة ما لم يستفده قبلها.

الْبِنَاءُ وَالْإِيضَاحُ وَالْإِلْحَاحُ

وهكذا -دواليك!- يشتغل القارئ والكاتب بأداة البناء (التقسيم، والترتيب)، ويستعينان عليها بأداة الإيضاح (التعليق، والتنبيه)، فإذا أتقن هذا الكاتب واستوعب ذاك القارئ فبها ونعمت، وإلا أفضيا إلى أداة الإلحاح (التهذيب، والإعادة)، وصَبَرَا على بَدَوَات المَلَل، وتَصبَّرا بسُنّة الحالِّ المرتحل القرآنية، التي استنَّها بعض القراء بغير القرآن حتى قَضَى وما قَضَى، واستنَّها بعض الكتاب حتى صار يعد إعاداته راضيا فاخرا: الكتابة الأولى، الثانية، الثالثة...!

تَطْبِيقٌ قِرَائِيٌّ كِتَابِيٌّ



خَاتِمَةُ التَّفَلْسُفِ

ولا يضير ما سبق من تفلسف نظري، أن يختلط من آخره بتفلسف عملي -بل هو أجدى عليه- يُغْرَى فيه القارئُ والكاتبُ بما يجمع على كل منهما أعمال القراءة والكتابة، ويشهد على تكاملهما، في كتاب واحد لا يقل عن خمسين ومئة صفحة (ثلاث خمسينات)، يُقْرَأُ ثلاثَ القراءات المعروفات (قراءة الإجمال التفكيري، وقراءة التحليل التعبيري، وقراءة التركيب التقويمي) -وربما تفاوتَتْ إطنابا وإيجازا- ليُعرَض ثلاثَ عَرَضَات في ثلاث

صفحات فقط -ولا تستغني عن الإعادة أو التهذيب- بحيث تكون في الصفحة الأولى بعد القراءة الأولى بطاقتُه التعريفيةُ، وفي الصفحة الثانية بعد القراءة الثانية مُنطلقاتُه التأليفيةُ، وفي الصفحة الثالثة بعد القراءة الثالثة خلاصتُه التقويميةُ.

الْبِطَاقَةُ التَّعْرِيفِيَّةُ

بالقراءة الأولى يتَّضح ظاهرُ الكتاب وموضوعه وكاتبه، وأمورٌ أخرى غير محددة؛ فيستطيع القارئ أن يُوجِز كلمتَه الأولى في حجم الكتاب ونشرته وطباعته، وفي حقيقة الموضوع وطبيعته وسياقه، وفي سيرة كاتبه العلمية والعملية المتعلقة به- ويُؤخِّر إلى حينِ عرضَ الأمور الأخرى غير المحددة.

الْمُنْطَلَقَاتُ التَّأْلِيفِيَّةُ

ثم بالقراءة الثانية تتَّضح مبادئُ الكاتب ومسالكه ومواقفه، وأمورٌ أخرى كتلك غير محددة؛ فيستطيع القارئ أن يُوجِز كلمتَه الثانية في منطلقات الكاتب، وما انبنى عليها من تفصيل فصول الكتاب، وما يدل عليها من العبارات المضيئة الواقعة في أثنائه- ويُؤخِّر إلى حينِ عرضَ الأمور الأخرى غير

المحددة. وليس ألطف في سياق هذا المعنى مما عاناه بعض أساتذتنا حين ابْتُلِي بقراءة كتاب صعب متشتت متفلِّت، وعرضِه؛ فقد صبر عليها، وتمسك فيها بالتقاط أهم ما يصادفه من كلمات وَهَّاجة دالة، ثم لمّا فرغ أعرض عن الكتاب كله إلى الكلمات التي اجتمعت له، فقلَّبها وحدها، ورتَّبها، واستنبط منها عرضه الذي حظي عند طالبيه حظوة كبيرة !

الخُلَاصَةُ التَّقْوِيمِيَّةُ

ثم بالقراءة الثالثة تتَّضح نتائجُ الكتاب ومناقبه ومثالبه؛ فيستطيع القارئ أن يُوجِز كلمتَه الثالثة فيما أنجزه الكتاب من موضوعه، وما أهمله، وما أعجبه منه، وما أزعجه، وما يوصي به في شأنه؛ فلا تَمنعنَّه هيبة الكاتب أو تقدير الكتاب، أن يكتب ما بدا له؛ فإنه إن لم ينفعْ غيره بما يكتب ينتفعْ هو به؛ إذ يُناصي الكاتب عند نفسه، ويجاريه في عمله، ويباريه في إنجازه.

تأنق	الإخراج	١١
أوجز	المتونة	١٠
هذب	إعادة الكتابة	٩
أكمل	التحشية ، والختم ، والإلحاق ، والفهرسة ، والتقديم	٨
حلل	الاستيعاب ، والعرض ، والنقد ، والفصل	٧
انتبه	اتباع انقسام المادة	٦
جهز	تطبيق المادة المناسب ، وتوثيقها ، وعنونتها	٥
تخير	نوع المصدر ، وصحته ، وزمنه	٤
آمن	اتصال المسيرة	٣
حدد	الكفاية ، والانحصار	٢
تبين	الجدة ، أو النقص	١

ابن سبيل

أ. مسألة

ب. مصادر

ج. مادة

د. تصنيف

هـ. بناء

علم

ابن السبيل

مَنهجُ البَحثِ العِلميّ الصّحيحِ لا الرّائِجِ
أصولٌ ، وفروعٌ ، وعلاماتٌ محسوبةٌ
تكونُ بالتّقليدِ ، وتُستوعَبُ بالتّعلُّم
(خطة الدكتور صقر)

"خطة الدكتور صقر"

دُعِيتُ في ٢٤/ ٤/ ٢٠٠١ إلى المحاضرة في منهج البحث العلمي، فخططت هذه الخطة المصورة الملحقة، وقدمتها بين يدي محاضرتي بكلية الآداب من جامعة السلطان قابوس. ثم كُلِّفْتُ بعد ثلاث سنوات تدريس ما يسمى في دبلوم دار العلوم "قاعة بحث ١"، فلجأت إلى خطتي القديمة، وصورتها للطلاب، ثم جعلتها محور المقرر، أبدأ لهم منها، وأنتهي إليها، وأدور عليها.

وقد كُلِّفْتُ ذلك التكليف ثلاث مرات؛ فتيسر لي أن أستفيد من تكرار النظر في تلك الخطة ومن نظر ثلاث فرق من تلامذتي النجباء الذين اتخذوها حَنانًا يَأْوُون إليه، ما لا غنى عنه

بالباحثين المبتدئين في علوم الثقافة العربية الإسلامية، ولاسيما علوم اللغة العربية.

وعلى رغم شَكْلِي كلَّ حرف تَنبيهًا على وجه كل كلمة ووجاهتها، تركتُ العبارة الأولى غير مشكولة "خطة الدكتور صقر"، تَمَسُّكًا بدلالة "خُطَّة" المضمومة الخاء على التخطيط المعنوي، ودلالة "خِطَّة" المكسورتها على التخطيط المادي، ودلالة "خَطَّة" المفتوحتها على عدد ما يكون ويتوالى من التخطيطات المعنوية والمادية.



تأنّق	الإخراج	١١
أَوْجِزْ	العَنْوَنة	١٠
هَذِّبْ	إعادةُ الكتابة	٩
أَكْمِلْ	التَّحشيةُ ، والخَتْم ، والإلحاق ، والفَهْرَسَةُ ، والتَّقديمُ	٨
حَلِّلْ	الاستيعابُ ، والعَرْضُ ، والنَّقْدُ ، والفَصْلُ	٧
انْتَبِهْ	اتِّباعُ انْقِسامِ المادة	٦
جَهِّزْ	تَطبيقُ المادة المناسبُ ، وتوثيقُها ، وعَنونَتُها	٥
تَخَيَّرْ	نوعُ المَصْدر ، وصِحَّته ، وزَمَنه	٤
آمِنْ	اتِّصالُ المَسيرة	٣
حَدِّدْ	الكِفايةُ ، والانْحِصارُ	٢
تَبَيَّنْ	الجِدَّةُ ، أو النَّقصُ	١

مَنهجُ البَحْثِ العِلْميّ الصَّحيحِ لا الرّائع
أصولٌ ، وَفروعٌ ، وَعَلاماتٌ مَحْسوبَةٌ
تَكونُ بِالتَّقْليدِ ، وَتُسْتَوْعَبُ بِالتَّعَلُّم
(خطة الدكتور صقر)

"تَكُونُ بِالتَّقْلِيدِ وَتُسْتَوْعَبُ بِالتَّعَلُّمِ"

لمنهج البحث العلمي أصولٌ وفروع وعلامات تُعْرَض وتنقد في أثناء تعليمه حتى تُستوعبَ؛ إذ تمتزج هي ومُستوعِبُها؛ فلا يَرَى إلا بها، ولا يَصدُرُ إلا عنها، ولا يَحتكِم إلا إليها.

وألْطَفُ ما في علمها أنه يشترك فيه المعلمُ والمتعلمُ كلاهما؛ فكما يستفيد المتعلمُ علمَ ما لم يعلم، يستفيد المعلمُ إحكامَ ما يعلم وضبطَ بعضه ببعض وتحسينَه، حتى ربما حَمَلَ نفسه على تعليمها حتى يتعلمها به.

ولا ريب في أن الاطلاع على الأبحاث السابقة وتحصيل ما فعل بها أصحابها، وَسيلةٌ مجرَّبة ناجحة إلى إنجاز مثلها على جهة التقليد، على ما فيها من اختلاف المطَّلعين بين مَنْ حَظِيَ بأبحاث

الكبار فكَبُرَ بها تقليده، ومن ابتُلِيَ بأبحاث الصغار فصَغُرَ بها تقليده!

وليس الاستيعابُ كالتقليد؛ فإن المقلِّد أَسيرُ المقلَّد محدود به منسوب إليه، فأما المستوعب فَحُرٌّ طَليقٌ مُمتلئٌ بنفسه جَريءٌ مُبادرٌ مُغامرٌ مُجددٌ مُبتكرٌ.



"أُصُولٌ وَفُرُوعٌ وَعَلَامَاتٌ مَحْسُوبَةٌ"

ما أكثرَ أعمالَ البحث العلمي المنهجية وما أهمَّها! ولكنها على رغم هذا وفي أثنائه، مُتفاوِتةُ الأهمية على ثلاثة أنواع: أُصولٌ تَأْسيسيَّةٌ، ففُروع تَكْميليَّةٌ، فعَلامات تَنْبيهيَّةٌ.

وليس أدلَّ على منزلة بعضها من بعض من تمثيلها بمثال الطريق الذي تَظهَرُ به الخطةُ في صورتها الملحقة؛ فإن الأصول المرادة هنا بمنزلة الميدان المستولي على الطريق، وإن الفروع بمنزلة الشارع المتفرع من الميدان، وإن العلامات بمنزلة اللافتات المنصوبة على جانب الشارع!

وإذا كرهنا من الرائد المُسافِر بنا أن يجهل اللافتات ذَمَمْناهُ بجهل الشارع، وأَبَيْنَا عليه أن يجهل الميدان، فإن فعلَ اطَّرَحْناه عنا إلى غيره؛ إذ قد كَذَبَنَا، والرائدُ لا يَكْذِبُ أهلَه.



تأنق	الإخراج	١١
أوجز	العنونة	١٠
هذّب	إعادة الكتابة	٩
أكمِل	التحشية ، والختم ، والإلحاق ، والفهرسة ، والتقديم	٨
حلّل	الاستيعاب ، والعرض ، والنقد ، والفصل	٧
انتبِه	اتباع انقسام المادة	٦
جهّز	تطبيق المادة المناسب ، وتوثيقها ، وعنونتها	٥
تخيّر	نوع المصدر ، وصحته ، وزمنه	٤
آمِن	اتصال المسيرة	٣
حدّد	الكفاية ، والانحصار	٢
تبيّن	الجِدّة ، أو النقص	١

مَنهجُ البحثِ العِلميّ الصّحيح لا الرّائع
أصولٌ ، وفروعٌ ، وعلاماتٌ محسوبةٌ
تكونُ بالتقليدِ ، وتُستوعبُ بالتعلُّم
(خطة الدكتور صقر)

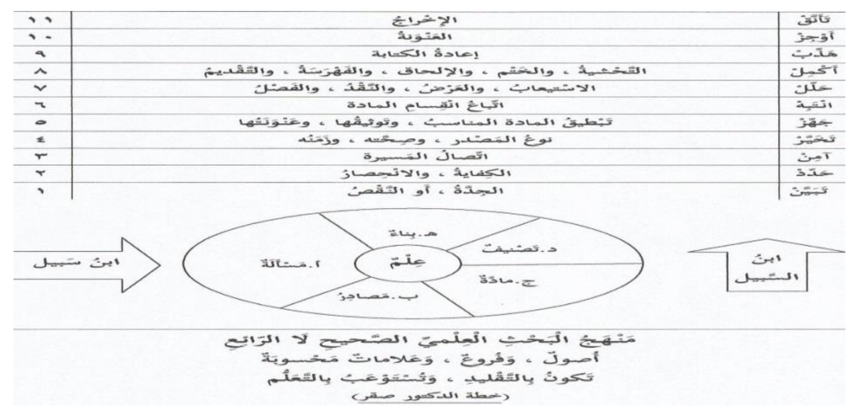
"مَنْهَجُ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ الصَّحِيحِ لَا الرَّائِعِ"

ما أَصْرَحَ دلالةَ المنهج على الطريق وقد خَطَّطَتْهُ الخطةُ المُلْحَقَةُ، فأما أن يكون طريق بحث والبحث حفر فلا يخلو من تنبيه على أنه كُلَّما كان أعمق كان أَوْصَلَ وأَنْجَحَ؛ فليس المقام لجمع المعلومات، فما جمعُها إلا معرفةٌ غيرُ منتجة، بل لِتَنْسِيقها وتصنيفها وتنظيمها والاستنباط منها، وهذا هو العلم المنتج.

والبحث المطروح هنا هو البحث العلمي الصحيح المجرَّب الناجح، الذي تَواتَرَ عليه الباحثون وأيدته تجاربهم، حتى استطاعوا أن يُميِّزوه ويَضْبِطوه ويُعلِّموه.

أما البحث العلمي الرائع فلا موضع له هنا؛ إذ لا يُعلِّمه المعلمون، بل يُفاجَأُ به المتلقون جميعًا مُعلِّمين ومُتَعلِّمين، فإذا أعجبهم، فتمسَّكوا به، وضبطوه، وعلَّموه- فَقَدَ رَوْعَتَه!

وليس أَشْبَه بالبحث العلمي الصحيح مِنَ الحِصانِ الإِنْسيِّ المُستأنَس، ولا أَشْبَه بالبحث العلمي الرائع منَ الحِصان الوَحْشيِّ المُسْتوحَش؛ فلا نَرْكَبُ إلا الأول، وإن انْبَهَرْنا بالثاني!



"ابْنُ سَبِيلٍ"

ربما اهتدى بعضُ طلاب العلم إلى ما يلائمه مما يستطيع إذا ما بذل فيه وُسْعَه، أن ينتفع به وينفع غيره ويتقدم به إلى الأمام، في رحلة الحياة هذه الجبلية الصعبة التي لا تتكرر. ولكنَّ أكثرَ طلاب العلم لا يستغنون عن تنبيه من حولهم آباءً وإخوةً وأساتذةً وزملاءَ...

يُولَدُ أبناؤنا بمواهب واحدة معروفة على اختلاف استعداداتهم بينها، فإذا نُبِّهوا أو انْتَبَهُوا إلى ما لهم فيه استعدادٌ وأُعِينوا عليه كانت لهم فيه قُدْرَةٌ ثُمَّ مَهَارَةٌ ثُمَّ إِبْدَاعٌ، وإلا خَبَتْ جَذْوَةُ الاستعداد، وجَفَّتْ زَهْرتُه، وفقدوا مواهبهم فيه من أصلها.

وإذا أَخْطَؤُوه إلى غيره وأُعِينوا عليه كانت لهم فيه قدرة، ولم يكد يكون لهم فيه مهارة، واستحال أن يكون لهم فيه إبداع. ولَكَنَّاسُ شَوارعَ مُبْدِعٌ أَهَمُّ لنا وأفضل عندنا وأحب إلينا من أستاذ جامعات غير مبدع، ولا سيما في زماننا هذا المفتون بالقُمامات، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

تَأنّقْ	الإخراجُ	١١
أَوْجِزْ	العَنْوَنةُ	١٠
هَذّبْ	إعادةُ الكتابة	٩
أَكْمِلْ	التّحْشِيةُ ، والخَتْم ، والإلحاق ، والفَهْرَسَةُ ، والتّقديمُ	٨
حَلّلْ	الاستيعابُ ، والعَرْضُ ، والنّقْدُ ، والفَصْلُ	٧
انْتَبِهْ	اتّباعُ انْقِسامِ المادة	٦
جَهّزْ	تَبْطيقُ المادة المناسبُ ، وتوثيقُها ، وعَنْوَنَتُها	٥
تَخَيّرْ	نوعُ المَصْدر ، وصِحّته ، وزَمَنه	٤
آمِنْ	اتّصالُ المَسيرة	٣
حَدّدْ	الكِفايةُ ، والانْحِصارُ	٢
تَبَيّنْ	الجِدّةُ ، أو النّقْصُ	١

ابنُ سَبيل

أ.مَسْألَةٌ

ب.مَصادِرُ

ج.مادّةٌ

د.تَصْنيفٌ

هـ.بِناءٌ

عِلْمٌ

ابنُ السّبيل

مَنهجُ البَحْثِ العِلْميّ الصّحيحِ لا الرّائع
أصولٌ ، وَفُروعٌ ، وَعَلاماتٌ مَحْسوبَةٌ
تَكونُ بالتّقليدِ ، وتُسْتَوْعَبُ بالتّعلُّم
(خطة الدكتور صقر)

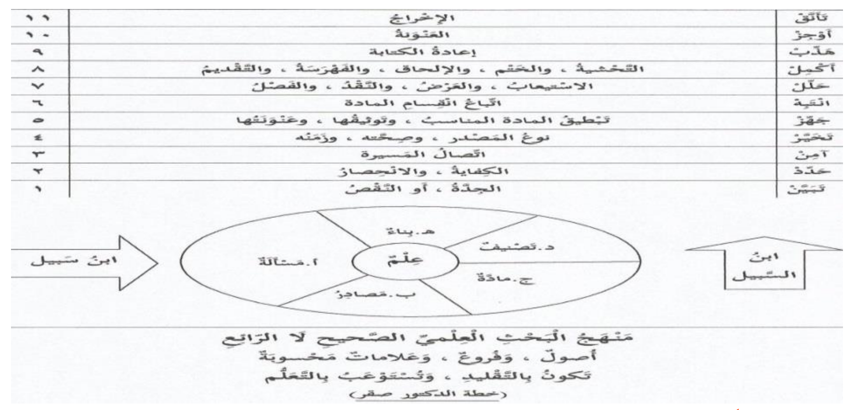
"عِلْمٌ"

لن يكون بحثٌ ولا منهجٌ، حتى يكون عِلْمٌ؛ ففيه سيكون البحث والمنهج. ولن يَتَعَرَّفَ أيُّ ابنِ سبيل حتى يهتدي إلى علمٍ يَنقطعُ له حتى يستوعب قطعة منه كبيرة، يقف منها على أرض ثابتة.

فإذا اهتدى أيُّ ابنِ سبيل إلى عِلْمٍ ملائم وجب أن يجتهد في تحصيله على كل وجه. وربما كان الوجهُ الرَّسْميُّ أَجْدَى عليه، وربما لم يكن؛ فما أَكْثَرَ المعاهدَ العلمية، وما أَقَلَّها!

ولا غِنَى له عن تحديد مَظانِّ هذا العلم الملائم وتنظيم أَوْرَادِ استيعابها على مَنَادِحِ ليله ونهاره؛ فأَصْعَبُها لِأَقْواها، وأَسْهَلُها لِأَضْعَفِها، وأَوْسَطُها لِأَوْسَطِها.

وكلُّ مُجْرٍ في الخلاء مَسرورٌ بما يُسابِقُ نفسَه؛ فمن ثَمَّ ينبغي أن يُذاكِرَ في هذا العلم غيرَه؛ ففي المُذاكرة تَلْقِيحُ الألباب، يَطْرَحُ ما عنده، ويَطْرَحُ غيرُه، فيَتبيَّنُ له مَبْلغُ ما حَصَّل، ويدُ الله مع الجماعة.



تأنَّق	الإخراجُ	١١
أوْجِزْ	العَنْوَنةُ	١٠
هَذِّبْ	إعادةُ الكتابة	٩
أكْمِلْ	التَّحْشيةُ ، والخَتْم ، والإلحاق ، والفَهْرَسَةُ ، والتَّقديمُ	٨
حَلِّلْ	الاستيعابُ ، والعَرْضُ ، والنَّقْدُ ، والفَصْلُ	٧
انْتَبِهْ	اتِّباعُ انْقِسامِ المادة	٦
جَهِّزْ	تَبْطيقُ المادة المناسبُ ، وتوثيقُها ، وعَنْوَنَتُها	٥
تَخَيَّرْ	نوعُ المَصْدر ، وصِحَّته ، وزَمَنه	٤
آمِنْ	اتِّصالُ المَسيرة	٣
حَدِّدْ	الكِفايةُ ، والانْحِصارُ	٢
تَبَيَّنْ	الجِدَّةُ ، أو النَّقصُ	١

مَنهَجُ البَحْثِ العِلْميِّ الصَّحيحِ لا الرَّائِعِ
أصولٌ ، وَفُروعٌ ، وَعَلاماتٌ مَحْسوبَةٌ
تَكونُ بِالتَّقْليدِ ، وَتُسْتَوْعَبُ بِالتَّعَلُّم
(خطة الدكتور صقر)

"أ=مَسْأَلَةٌ"

أَوَّلُ أصول المنهج التأسيسية مَسْأَلَةٌ لا تَنْبُتُ لسائلها إلا في منبتها الصالح أي العلم الذي حَصَّلَه، دَلالةً عليه؛ فليس أدلَّ على العلم من الأسئلة التي يثيرها، وأعظمُ العلوم وأخلدها أكثرُها إثارةَ أسئلةٍ، فأما أكثرُها إجابةً فيُوشك أن يُكتَفى منه ويُستغنَى عنه.

وكلمة مَسْأَلَة في علم الصرف من باب المصادر، تُصنَّف على أنها مصدر مِيميّ يبالغ به في معنى المصدر الصريح ثم يبالغ فيه بزيادة تاء الجَماعة؛ فهي إذنْ مُبالغةٌ في مُبالغة؛ ومن ثَمَّ ينبغي ألا تُطلَق إلا على ما تكثر فيه الأسئلةُ كثرةً كاثرةً أو ما يُنزَّل هذه المنزلة.

يجوز أن يُكلِّفَ الباحثَ المسألةَ مَنْ لا يَعْصِيه، فيَحْمِلَها.

ويجوز أن يَجِدَها ظاهرةً مطروحةً في الكتب والمحاضرات والمناظرات، فيَختطِفَها. ويجوز أن يَفْتَقِدَها، فيَستنبِطَها. ولكن إذا دلّت الحال الأولى على بِرِّه، ودلّت الحال الثانية على فَتْكِه– فلقد تدُلّ الحال الثالثة على عَقْلِه!



"ب=مَصَادِرُ"

ثاني أصول المنهج التأسيسية مَصَادِرُ تنبُع منها المسألة وتصدر عنها. وعلى حسب هذه المسألة تكون المصادر، كما على حسب هذه المصادر تكون المسألة، ولا مُعْضِلَةَ!

رُبّما غَمَضَ مجيءُ المصادر في الأصول بعد المسألة التي إنما نبعت منها وصدرت عنها، حتى يتضح أن للمصادر عَمَلَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ على مُدّة: أولُهما فيما يَطلُبه أيُّ ابن سبيل من علم أَوَّلِيٍّ يُثير أسئلتَه، وثانيهما فيما يَطلُبه من جواب المسألة التي ينقطع لها دون غيرها.

ولقد ينبغي التنبيه على أن حال المصادر في عملها الثاني غير حالها في عملها الأول؛ فإنها إن تكن في الأول عَفْوِيَّةً عامَّة تثير

أسئلة كثيرة مختلفة وتجيب بعضها دون بعض، فهي في الثاني قَصْدِيَّةٌ خاصَّة تثير المسألة المختارة وتجيبها.

يرجع الباحث إلى المصادر في هذا الأصل الثاني رجوعا خاصا؛ فلا يَعْبَأُ منها إلا بمصادر مسألته القصدية الخاصة، وإن أَحاطَها أحيانا بهالةٍ من المصادر العفوية العامة.

تأنّق	الإخراج	١١
أوجز	العنونة	١٠
هذّب	إعادة الكتابة	٩
أكمِل	التحشية ، والختم ، والإلحاق ، والفهرسة ، والتقديم	٨
حلّل	الاستيعاب ، والعرض ، والنقد ، والفصل	٧
انتبه	اتباع انقسام المادة	٦
جهّز	تطبيق المادة المناسب ، وتوثيقها ، وعنونتها	٥
تخيّر	نوع المصدر ، وصحته ، وزمنه	٤
آمِن	اتصال المسيرة	٣
حدّد	الكفاية ، والانحصار	٢
تبيّن	الجدة ، أو التقص	١

مَنهجُ البَحثِ العِلميّ الصّحيح لا الرّائع
أصولٌ ، وفروعٌ ، وعلاماتٌ محسوبة
تَكونُ بالتّقليدِ ، وتُستوعَبُ بالتّعلُّم
(خطة الدكتور صقر)

"ج=مَادَّةٌ"

ثالثُ أصول المنهج التأسيسية مَادَّةٌ يَستمدُّها الباحث من مصادر مسألته القَصديَّة الخاصَّة استمدادًا كاملا ما استطاع إليه سبيلا، يُغْرِيه به ويُعِينه عليه ما في كلمة مَادَّة نفسها من دلالة على أنها سِرّ حياة البحث الذي يستمر إليه من مصادره استمرارَ النُّسْغ من جَذْر الشجرة إلى فرعها.

وكما يَرِدُ العطشانُ عين المياه ويَنْهَل منها يَرِدُ الباحث مَصْدَرَ مسألته ويستفيد منه. وكما تهتدي النَّحْلَةُ من زهر البستان إلى ذَواتِ الرَّحيق دون غيرها يهتدي الباحث من مواد المصدر إلى مادة مسألته دون غيرها.

وما استحضار مثال النحلة إلا من باب التقريب وحسن الظن بالباحث؛ فقد أُوتِيَتْ هي حاسَّةَ الاهتداء إلى الرحيق، ولم يُؤْتَ هو حاسَّةَ الاهتداء إلى المادة؛ ومِنْ ثَمَّ يظلُّ يُخْطِئُها أو يجمع معها غيرها -وإن قلَّ ذلك منه على الزمانِ والمُحاولةِ والمُزاولةِ- فأما هي فلم تخطئ قَطُّ ولن تخطئ أبدًا؛ لا تَبْديلَ لخلق الله؛ فتبارك الله أحسن الخالقين!

تأنق	الإخراج	١١
أوجز	العنونة	١٠
هذب	إعادة الكتابة	٩
أكمل	التحشية ، والختم ، والإلحاق ، والفهرسة ، والتقديم	٨
حلل	الاستيعاب ، والعرض ، والنقد ، والفصل	٧
انتبه	اتباع انقسام المادة	٦
جهز	تطبيق المادة المناسب ، وتوثيقها ، وعنونتها	٥
تخير	نوع المصدر ، وصحته ، وزمنه	٤
آمن	اتصال المسيرة	٣
حدد	الكفاية ، والانحصار	٢
تبين	الجدة ، أو النقص	١

ابن سبيل
أ.مسألة
علم
هـ.بناة
د.تصنيف
ج.مادة
ب.مصادر
ابن السبيل

مَنهجُ البَحثِ العِلميّ الصَّحيحِ لا الرّائع
أصولٌ ، وَفروعٌ ، وَعَلامات مَحسوبَة
تَكونُ بالتَّقليدِ ، وَتُستَوعَبُ بالتَّعلُّم
(خطة الدكتور صقر)

"د=تَصْنِيفٌ"

رابعُ أصول المنهج التأسيسية تَصْنيفٌ تنقسم فيه المادة بما تُؤدِّيه طبيعتُها وخصائصها، على أقسام متميزة تميزا منطقيا واضحا.

ولا تستعصي على الانقسام مادة -وإن قَلَّتْ- إلا أن يَغْفُلَ الباحثُ أو يكسَلَ أو يُهمِل، وهي أحوال لا يستقيم عليها عمله أصلا، ولا يستمر إلى غايته.

أما الباحثُ الواعي النشيط المعتنِي فلن يعدم ما يَدْخُلُ منه إلى تقسيم المادة وتصنيفها على حسب ظاهرها وحده، أو باطنها وحده، أو ظاهرها وباطنها جميعا معا- وعلى حسب ما يراه هو فيها، أو على حسب ما دَرَجَ غيرُه على رؤيته فيها، وإن خالفهم فيه.

ربما كان في تصنيف المادة وَجْهٌ من مُبادَرة الباحث إلى عرض رأيه الذي سينتهي إلى إثباته، ولكن لا يمتنع أن يكون فيه وَجْهٌ من مُبادَرته إلى رأي غيره الذي سينتهي إلى دَحْضِه.



تأنّق	الإخراج	١١
أوجز	العنونة	١٠
هذّب	إعادة الكتابة	٩
أكمِل	التحشية ، والختم ، والإلحاق ، والفهرسة ، والتقديم	٨
حلّل	الاستيعاب ، والعرض ، والنقد ، والفصل	٧
انتبه	اتّباع انقسام المادة	٦
جهّز	تطبيق المادة المناسب ، وتوثيقها ، وعنونتها	٥
تخيّر	نوع المصدر ، وصحّته ، وزمنه	٤
آمن	اتصال المسيرة	٣
حدّد	الكفاية ، والانحصار	٢
تبيّن	الجدّة ، أو النقص	١

مَنهجُ البحثِ العِلميّ الصّحيحِ لا الرّائع
أصولٌ ، وفروعٌ ، وعلاماتٌ محسوبةٌ
تكونُ بالتّقليدِ ، وتُستوعبُ بالتّعلُّم
(خطة الدكتور صقر)

"ه=بِنَاءٌ"

خامسُ أصول المنهج التأسيسية بناءٌ تَتَرَكَّبُ فيه صنوف التصنيف بحيث تستوي بنيانا محكما يشد بعضه بعضا، على مثل بنيان الباحث نفسه، يظلّ يدلّ عليه ويُشير إليه.

إن كلّ عمل مُتقَن يعمله الإنسان لا يخلو من بُنْيَانِيَّتِهِ هو نفسه أي تَرَكُّب أجزائه ظاهرا وباطنا وارتباطها حتى لَتُظَنّ كيانًا واحدًا صُلْبًا مُصْمَتًا، وما ذاك إلا أنها بُنْيان كبُنْيان الإنسان.

ولا ريبَ في تَفاوُت مُدْرِكي هذه البُنيانيّة مُتلقينَ وباحثينَ؛ فمِنْ أسرار التركب والارتباط ما لا يَتيسَّر لأيِّ أَحَدٍ؛ فلا يقدر أيُّ باحث على إضمإره في بحثه، ولا يقدر أيُّ متلق على إظهاره منه.

ولكنْ لا غِنى عن مبادئ المنطق الطبيعي التي يتمثل بها أيُّ شيءٍ أمامَنا بُنيانًا سَوِيًّا بلا اضطِراب ولا تَنافُر ولا تَناقُض، لا في التحديد ولا في الترتيب ولا في التهذيب.

تَأنَّق	الإخراجُ	١١
أوجِزْ	العَنونةُ	١٠
هَذِّبْ	إعادةُ الكتابة	٩
أكْمِلْ	التَّحْشِيةُ ، والخَتم ، والإلحاق ، والفَهرَسةُ ، والتَّقديمُ	٨
حَلِّلْ	الاستيعابُ ، والعَرْضُ ، والنَّقدُ ، والفَصْلُ	٧
انْتَبِهْ	اتِّباعُ انْقسامِ المادة	٦
جَهِّزْ	تَطْبيقُ المادة المناسبُ ، وتوثيقُها ، وعَنوَنَتُها	٥
تَخيَّرْ	نوعُ المَصْدر ، وصِحَّته ، وزَمَنه	٤
آمِنْ	اتِّصالُ المَسيرة	٣
حَدِّدْ	الكِفايةُ ، والانْحِصارُ	٢
تَبَيَّنْ	الجِدَّةُ ، أو النَّقصُ	١

ابنُ سَبيل

أ.مَسألة

ب.مَصادِرُ

ج.مادّة

د.تَصْنيف

هـ.بِناء

عِلْمٌ

ابنُ السَّبيل

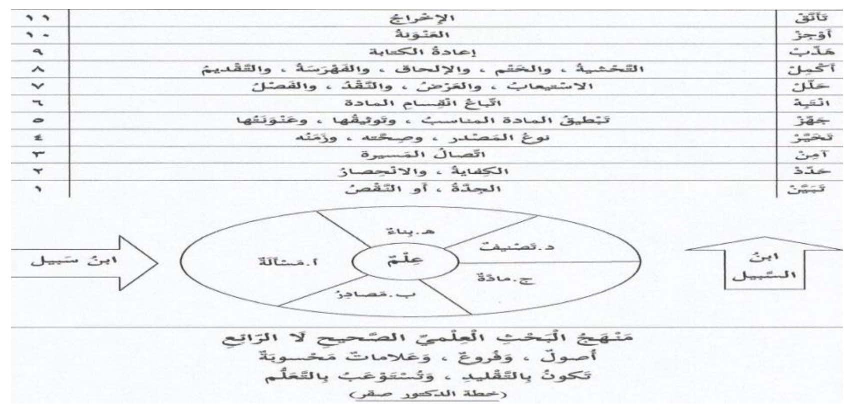
مَنهجُ البَحثِ العِلْميِّ الصَّحيحِ لا الرّائج
أُصولٌ ، وَفُروعٌ ، وَعَلاماتٌ مَحْسوبَةٌ
تَكونُ بِالتَّقْليدِ ، وَتُسْتَوْعَبُ بِالتَّعَلُّم
(خطة الدكتور صقر)

"ابْنُ السَّبِيلِ"

الآنَ بعدما اهتدى طالبُ منهج البحث العلمي إلى علمه الملائم واشتغل بتحصيله، ثم تَبيَّنتْ له وتميزت أصول المنهج التأسيسية الخمسة- لم يَعُدْ أيَّ ابنِ سبيل، بل صار ابن هذه السبيل دون غيرها.

قَبْلَئِذٍ كان يَهْرِفُ بما لا يَعْرِفُ، فلا يؤخذ عليه خطأٌ عِلْمي لا قَوْلي ولا فِعْلي، بل يُعْرِض عنه أبناءُ السبيل سلامًا مِنْ فَرَطاتِ جهله! فأمّا الآن بعدما صار من أبناء هذه السبيل، فينبغي له أن يَتَأَدَّبَ بأدبهم لأنه سيكون مِلاكَ ما بينه وبينهم، يُحاكمونه إليه، ويُحاكمهم.

ومِنْ أَدَبِ أبناء هذه السبيل أن يَتَواصَوْا باليقين بالحق -فلا يَقرّ لهم قرار على غيره- وبالإخلاص للحق -فلا يكون لهم قصد إلى غيره- وبإتقان العمل -فلا ينقطع لهم دَأَبٌ دونه- وبالثبات على اليقين والإخلاص والإتقان -فلا يكون منهم تَحَوُّل عنها- وبالرضا بعواقبها؛ فلا يكون منهم سخط عليها، ولا يأس منها.



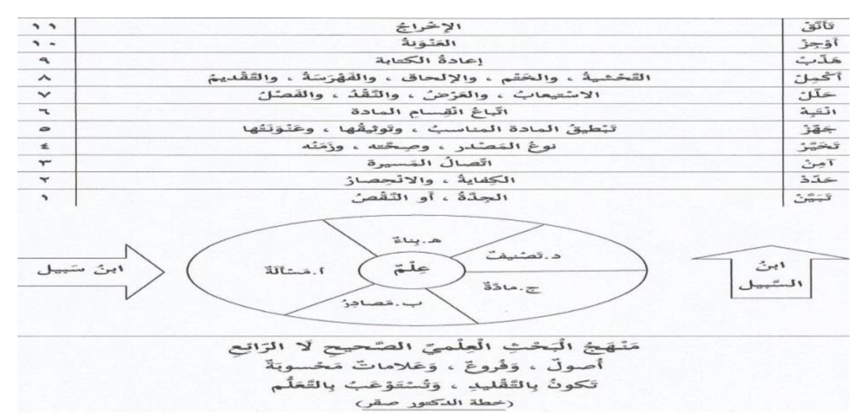
"تَبَيَّنْ=الجِدَّةُ أَوِ النَّقْصُ=١"

أولُ فُروع المنهج التَّكْميليَّة الجِدَّةُ أو النقص، وعَلامتُه التَّنْبيهيَّة تَبَيَّنْ؛ إذ ربما بَذَلَ الباحث من وُسْعِهِ وعمره، ثم ذهب ما بذله أدراجَ الرياحِ هَباءً منثورًا، حين يطلع فجأة أو يتجلى لغيره أنه مسبوق إلى مسألته، وأنه إن لم يكن سرقها فلم يزد على أن كَرَّرها أو كَدَّرها!

لقد ينبغي للباحث أن يَتبيَّنَ أولًا أنَّ المسألة التي سيجعل فيها بحثه، جَديدةٌ لم يُبْحَثْ عنها مِنْ قبلُ، أو ناقصةٌ لم يكمل بحثها؛ فإنْ يَستصعبْها جديدةً يَستسهلْها ناقصةً. ولا غِنَى به في تَبيُّن ذلك عن تفتيش خزائن المسائل بالمعاهد العلمية وهي متاحة

الآن ورقيةً ورقميةً، ولا عن سؤال أهل العلم المتحققين المُتحرِّجين.

وإن من فِطْنة الباحث أن يعثر للمسألة القديمة على وجه جديد يوجهها عليه ويبحث بها عنه، حتى لَيَرَى المتلقون أنْ لو لم يبحث بحثه لخَسِروا عملًا مفيدًا مُهمًّا. وليس أعون له على ذلك من مُلْتَقَيَاتِ العلوم المختلفة؛ فأكثر الباحثين مُشغولونَ بالمسائل التي يَستقلّ بها كلُّ علم من العلوم القديمة المستقرة الحدود، فأما مسائلُ العلوم الجديدة المتحرِّكة الحدود التي تَشتجِرُ فيها علومٌ مختلفة، فلا يَصْمُدُ لها إلا أهل العزم من الباحثين.



تأنَّق	الإخراج	١١
أَوْجِزْ	العَنْوَنَة	١٠
هَذِّبْ	إعادة الكتابة	٩
أَكْمِلْ	التحشية، والختم، والإلحاق، والفهرسة، والتقديم	٨
حَلِّلْ	الاستيعاب، والعرض، والنقد، والفصل	٧
انتبه	اتباع انقسام المادة	٦
جَهِّزْ	تطبيق المادة المناسب، وتوثيقها، وعنونتها	٥
تَخَيَّرْ	نوع المصدر، وصحته، وزمنه	٤
آمِنْ	اتصال المسيرة	٣
حَدِّدْ	الكفاية، والانحصار	٢
تَبَيَّنْ	الجدة، أو النقص	١

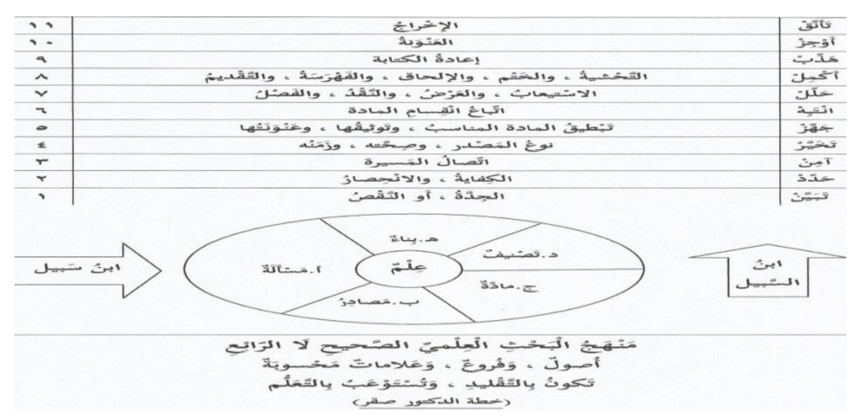
"حَدِّدْ=الْكِفَايَةُ وَالِانْحِصَارُ=٢"

ثاني فُروع المنهج التَّكْميليَّة الكفايةُ والانحصارُ، وعَلامتُه التَّنبيهيَّة حَدِّدْ؛ إذ ينبغي للباحث أن يحدد مادة بحثه بحيث تنفرش على فضائه وتنحصر بحدوده، أي أن تملأ أَقْطارَه بلا إفراط ولا تفريط.

إنَّ في انخداع الباحث لكثرة مادته مَهْواهُ في هُوَّةِ الإفراط، والإفراط إسرافٌ، والإسرافُ سَفَهٌ. وإن في انخداعه لقلة مادته مَهْواهُ في هُوَّةِ التفريط، والتَّفْريط تَقْصيرٌ، والتَّقْصيرُ عَجَزٌ.

وعلى حسب شروط البحث مَدًى وسعةً وعُمقًا، ينبغي للباحث أن يُحدِّد مَادته؛ فلا مِراءَ في اختلاف شُروط أبحاث الماجستير والدكتوراة وما قبلهما وما بعدهما، ومن ظن أنه يَتفضَّل

على المتلقين بإقامة أحد هذه الأبحاث على مادة غيره، فقد أخطأ، ومَنْ أخطأً لم يَستحقَّ التقديرَ، وإنْ أَهلَكَ نفسَه!

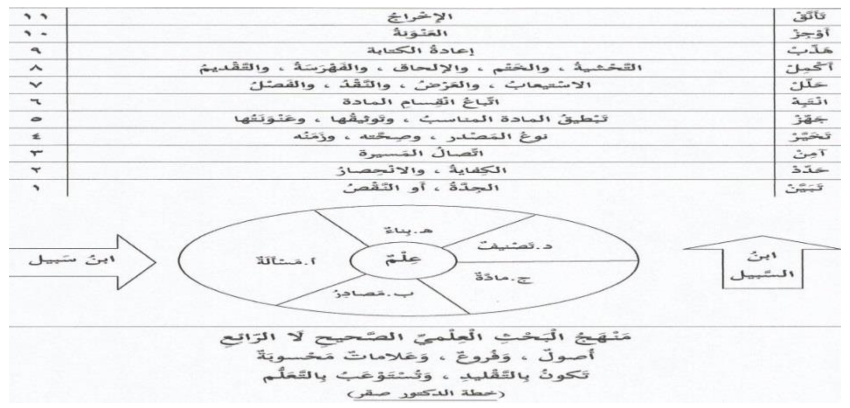


"آمِنْ=اتِّصَالُ المُسِيرَةِ=٣"

ثالثُ فُروع المنهج التَّكميليَّة اتصالُ المَسيرةِ، وعَلامتُه التَّنْبيهيَّة آمِنْ؛ إذ ينبغي أن يَستقرَّ في وعي الباحث استقرارَ العقيدة في قلب المؤمن، أنَّه أحد أبناء هذه السبيل السائرين على الدرب، لا يعمل وحده.

وعلى رغم اشتغالنا هنا بالبحث العلمي الصحيح الذي يُحافِظ فيه الباحثُ على تراث غيره من الباحثين، فيستوعبه، ويعرضه، وينقده، ويضيف إليه مؤمنا بأنه تراث متراكم يصل إليه ثم يستمر به- لا نرى البحث العلمي الرائع يَنْخَلِعُ الباحثُ فيه من تراث غيره.

ربما تَوهَّمَ بعضُ الباحثين أَلَّا إبداعَ إلا بالانخلاع من السبيل ومن أبنائها جميعا، وهَيْهَاتَ! ما أَبْعَدَ ما انْتَجَعَ! وما أَشْبَهَهُ بمن يريد الانخلاع من إرث طبيعته! كيف وهو إن تَنَفَّسَ فَبِزَفِيرِهِمْ يتنفَّسُ، وإن تَحدَّثَ فَبِكَلامِهِم يَتَحدَّثُ!



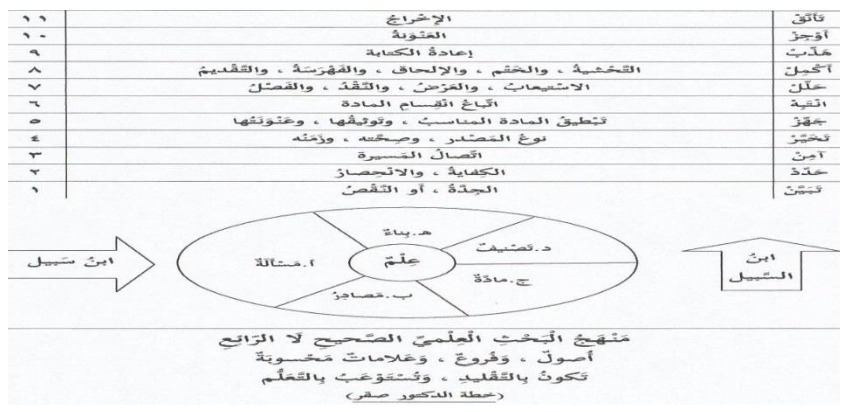
تأنق	الإخراج	١١
أوجز	العنونة	١٠
هذب	إعادة الكتابة	٩
أكمل	التحشية ، والختم ، والإلحاق ، والفهرسة ، والتقديم	٨
حلل	الاستيعاب ، والعرض ، والنقد ، والفصل	٧
انتبه	اتباع انقسام المادة	٦
جهز	تطبيق المادة المناسب ، وتوثيقها ، وعنونتها	٥
تخير	نوع المصدر ، وصحته ، وزمنه	٤
آمن	اتصال المسيرة	٣
حدد	الكفاية ، والانحصار	٢
تبين	الجدة ، أو النقص	١

"تَخَيَّرْ=نَوْعُ الْمُصْدَرِ=٤"

رابعُ فروع المنهج التكميلية نَوْعُ المصدر وصحتُه وزمنُه، وبحسبنا الآن نَوْعُه، وعلامته التنبيهية تَخَيَّرْ؛ إذ ينبغي للباحث الذي تَبيَّن مسألتَه ألا يغفل عما تحتاج إليه من مصادر ملائمة مسموعة أو مقروءة أو ملموسة أو مشمومة أو مشهودة أو مركبة.

كيف لمن يبحث عن حقيقة مسألة شفاهية أن يتخير لها مصادر كتابية، والعكس بالعكس! أم كيف لمن يبحث عن حقيقة مسألة فنية أن يتخير لها مصادر علمية، والعكس بالعكس! أم كيف لمن يبحث عن حقيقية مسألة شعرية أن يتخير لها مصادر نثرية، والعكس بالعكس! وهلم جرا...

ومِن شُجون هذا المقام اضطرابُ الباحثين من قديم إلى حديث في ملاحق أبحاثهم بين المصادر والمراجع والمجلات والدوريات والمخطوطات والأقراص المدمجة والمواقع الإنترنتية إلى آخر ما كان ويكون، وما مِنْ مُضْطَرب؛ إذ هي كلها إما مصادر نبعت منها مادة المسألة، وإما مراجع تَردَّد فيها كلام باحثين آخرين عن حقيقة هذه المسألة، وما سوى هذا مظاهر نشر لا أثر لها في تمييز المنشور.



تأنَّق	الإخراج	١١
أَوْجِزْ	العَنْوَنة	١٠
هَذِّبْ	إعادة الكتابة	٩
أكْمِلْ	التحشية ، والخَتم ، والإلحاق ، والفهرسة ، والتقديم	٨
حَلِّلْ	الاستيعاب ، والعَرْض ، والنَّقْد ، والفَصْل	٧
انْتَبِهْ	اتّباع انْقِسام المادة	٦
جَهِّزْ	تَطْبيقُ المادة المناسبُ ، وتوثيقُها ، وعَنْوَنَتُها	٥
تخيَّرْ	نوعُ المَصْدر ، وصِحّته ، وزَمَنه	٤
آمِنْ	اتّصالُ المَسيرة	٣
حَدِّدْ	الكِفايةُ ، والانْحِصارُ	٢
تَبَيَّنْ	الجِدّةُ ، أو النَّقصُ	١

"تخَيَّرْ=صِحَّةُ المُصْدَرِ=٤"

رابعُ فروعِ المنهج التكميلية نوعُ المصدر وصحته وزمنه، وبِحَسْبِنا الآنَ صحتُه، وعَلامتُه التنبيهيةُ تَخَيَّرْ؛ إذ كيف للباحث أن يستمد مادة مسألته من مصدر غير صحيح ويستقيم بحثه ويحظى عند المتلقين!

ومن صحة المصدر وجودُه على الحقيقة؛ فلا يكون مِن اخْتلاق الباحث - فالاختلاقُ كَذِبٌ- أو تَوَهُّمِه -فالتَّوَهُّم عَبَثٌ- أو انخداعه -فالانخداعُ غَفْلة- وأيّةُ استقامة وحَظْوة تُرْجَيَان بالغَفْلة أو العَبَث أو الكَذِب!

ومن صحة المصدر كذلك وُضوحُ مادَّته على الحقيقة؛ فلا يكون من قَسْر الباحث -فالقَسْر ظُلم- أو تَزْييفه -فالتَّزْييف

خِداع- أو تصرفه -فالتصرُّف تَكلُّف- وأيّةُ استقامة وحَظْوة تُرْجَيَان بالتكلُّف أو الخِداع أو الظُّلم!



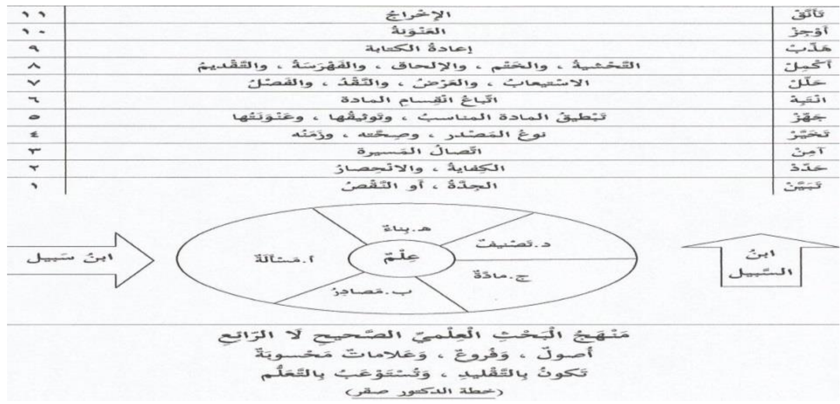
تَأنّقْ	الإخراجُ	١١
أَوْجِزْ	العَنْوَنةُ	١٠
هَذِّبْ	إعادةُ الكتابة	٩
أَكْمِلْ	التَّحْشيةُ ، والخَتْم ، والإلحاق ، والفَهْرَسَةُ ، والتَّقديمُ	٨
حَلِّلْ	الاستيعابُ ، والعَرْضُ ، والنَّقْدُ ، والفَصْلُ	٧
انْتَبِهْ	اتّباعُ انْقِسامِ المادة	٦
جَهِّزْ	تَطبيقُ المادة المناسبُ ، وتوثيقُها ، وعَنوَنَتُها	٥
تَخَيَّرْ	نوعُ المَصْدر ، وصِحّته ، وزَمَنه	٤
آمِنْ	اتّصالُ المَسيرة	٣
حَدِّدْ	الكِفايةُ ، والانْحِصارُ	٢
تَبَيَّنْ	الجِدّةُ ، أو النَّقصُ	١

"تَخَيَّرْ=زَمَنُ الْمَصْدَرِ=٤"

رابعُ فروعِ المنهج التكميلية نوع المصدر وصحته وزمنه، وبِحَسْبِنا الآنَ زمنُه، وعَلامتُه التنبيهيةُ تَخَيَّرْ؛ إذْ ينبغي لمصدر المسألة أن يكون من زمنها –وإلا كان في نُبُوعُها منه نَظَرٌ– فأما كونُه من زمنِ ما قَبْلَها فَدَليلُ عَدَمِ صحته قَطْعًا، وأما كونُه من زمنِ ما بعدَها فَدَليلُ ضعفه.

أَلَا ما أَشْبَهَ استمدادَ مادة المسألة من مصدر لاحقٍ بَعِيد زمان صدوره عن زمان حدوثها بالاستشهاد بالحديث المنقطع السَّنَد بهُوَّة خاوية ليس فيها من الرواة الذين سمعوه من يستقرُّ به الاطمئنانُ!

كيف للباحث أن يَزْهَدَ في مُعاينة مسألته رَأْيَ العين، وليس الخبر كالمعاينة! أم كيف يَرْكَنَ إلى وَساطة مُتَوَسِّط يَدَّعي على مسألته الدعاوى ويمُنّ عليه من مادَّتها بما لا يُسْمِنُ بحثه ولا يُغْنِيه!



تَأنَّقْ	الإخراجُ	١١
أَوْجِزْ	العَنْوَنةُ	١٠
هَذِّبْ	إعادةُ الكتابة	٩
أَكْمِلْ	التَّحْشيةُ ، والخَتْم ، والإلحاق ، والفَهْرَسَةُ ، والتَّقديمُ	٨
حَلِّلْ	الاستيعابُ ، والعَرْضُ ، والنَّقدُ ، والفَصْلُ	٧
انْتَبِهْ	اتِّباعُ انْقِسامِ المادة	٦
جَهِّزْ	تَطْبيقُ المادة المناسبُ ، وتوثيقُها ، وعَنْوَنَتُها	٥
تَخَيَّرْ	نوعُ المَصْدر ، وصِحَّته ، وزَمَنه	٤
آمِنْ	اتِّصالُ المَسيرة	٣
حَدِّدْ	الكِفايةُ ، والانْحِصارُ	٢
تَبَيَّنْ	الجِدَّةُ ، أو النَّقصُ	١

مَنهَجُ البَحْثِ العِلْميِّ الصَّحيحِ لا الرّائِج
أُصولٌ ، وَفُروعٌ ، وَعَلاماتٌ مَحْسوبَةٌ
تَكونُ بِالتَّقْليدِ ، وَتُسْتَوْعَبُ بِالتَّعَلُّم
(خطة الدكتور صقر)

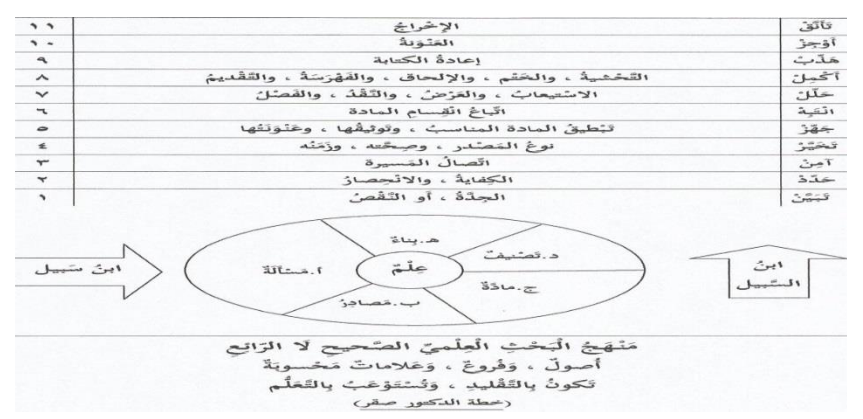
"جَهِّزْ=تَبْطِيقُ المَادَّةِ المُنَاسِبُ=٥"

خامسُ فروع المنهج التكميلية تَبْطيقُ المادة المناسب وتَوْثيقُها وعَنْونتُها، وبِحَسْبِنا الآنَ تَبْطيقُها المناسِبُ، وعَلامتُه التنبيهيةُ جَهِّزْ؛ إذْ لا غِنَى بالباحث عن تَجْريد المادة من مصادرها حتى ينقطع لِتأمُّل مسألته فيها هي وحدها ويقف على طبيعتها وخصائصها وجوامعها وفوارقها، وما أَشْبَهَها مُجَرَّدةً بتلامذتنا في فَصْلِهم الدراسي، وما أَشْبَهَها مُتَلَبِّسةً بتلامذتنا في بيوتهم العائلية، وهيهات أن تُؤَلِّف قلوبَهم دُروسٌ خُصوصيةٌ!

ينبغي للباحث أن يَنقُل كلَّ فكرة واحدة إلى بِطاقة واحدة قُصاصة ورقية أو مِلَفّ رَقْمي، بحيث تَنْطوي الفكرةُ في البطاقة،

ولا تَنْطوي البِطاقةُ في الفكرة، لِتَتَحَيَّز هي من بطاقتها في حَيِّز محدود يُتيح له أن يَرْتَع في فضاء البطاقة بما يَعِنُّ له من تعليقات.

كذلك ينبغي له أن يلتزم نوعًا واحدًا من البطاقات الورقية أو الرقمية، يتيح له أن يَمُرَّ فيها مُرورًا واحدًا فيستوعبها استيعابا واحدا؛ فإنه إن عَدَّدَ أنواعها التبستْ عليه، وأَفلتَتْ من ضَبْطه، وكَلَّفَتْه كلَّ مرة ما يُلهيه عن غايته.



تَأنّقْ	الإخراجُ	١١
أَوْجِزْ	العَنونةُ	١٠
هَذِّبْ	إعادةُ الكتابة	٩
أَكْمِلْ	التَّحْشيةُ ، والخَتْم ، والإلحاق ، والفَهْرَسَةُ ، والتَّقديمُ	٨
حَلِّلْ	الاستيعابُ ، والعَرْضُ ، والنَّقْدُ ، والفَصْلُ	٧
انْتَبِهْ	اتّباعُ انْقِسامِ المادة	٦
جَهِّزْ	تَبْطيقُ المادة المناسِبُ ، وتَوثيقُها ، وعَنوَنَتُها	٥
تَخَيَّرْ	نوعُ المَصْدر ، وصِحّته ، وزَمَنه	٤
آمِنْ	اتّصالُ المَسيرة	٣
حَدِّدْ	الكِفايةُ ، والانْحِصارُ	٢
تَبَيَّنْ	الجِدّةُ ، أو النَّقْصُ	١

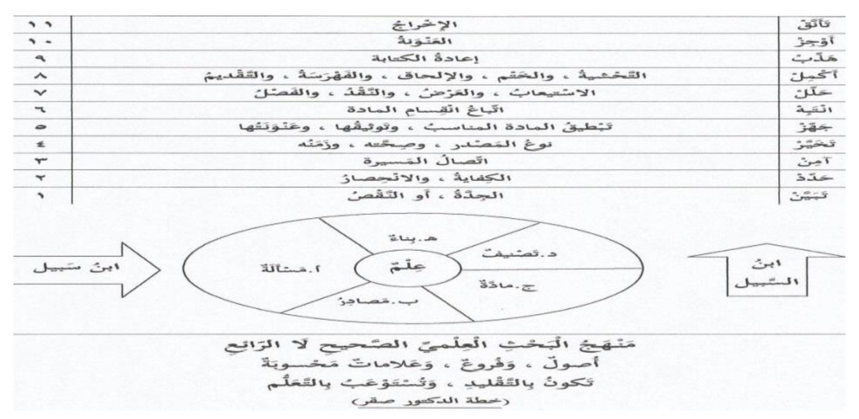
مَنْهَجُ الْبَحْثِ الْعِلْميّ الصَّحيحِ لا الرّائِع
أُصولٌ ، وَفُروعٌ ، وَعَلاماتٌ مَحْسوبَةٌ
تَكونُ بِالتَّقْليدِ ، وَتُسْتَوْعَبُ بِالتَّعَلُّم
(خطة الدكتور صقر)

"جَهِّزْ=تَوْثِيقُ الْمَادَّةِ=٥"

خامسُ فروع المنهج التكميلية تَبْطيقُ المادة المناسب وتَوثيقُها وعَنونتُها، وبِحَسْبنا الآنَ تَوثيقُها، وعَلامتُه التنبيهيةُ جَهِّزْ؛ إذ لو لم تُوثَّق لم تَتجرَّدْ من مصادرها للباحث، واضطُرَّ إلى إهمالها مِنِ اعتمادِه أَصْلًا أو إلى تَفْتيش كلِّ ما عَرَضَ له من مصادر حتى يعثر على مواضعها منها، وهما أَمْران أحلاهما مُرّ.

ولا قيمةَ لمادة غير مُوثَّقة؛ فسواءٌ هي والعدم. وليس أبلغ احتجاجًا لضرورة توثيقها، من أنه يُقدَّم بين يديها كثيرا حتى يَطمئِنّ إليه مَن سينظر فيها، وإلا لم يُؤْمَنْ أن يَتجاوزَها مُعْرِضًا عنها بما انخلعتْ مِنْ مصدرها الذي تَنتسبُ إليه ويُعتمد في تقديرها عليه.

ومِنْ بِطاقات الأفكار يَبدأ تَوثيقُ المادة بلونٍ غير لون كتابة أفكارها، حيث يُثبت الباحثُ عن يمينِ أعلى كل بطاقةٍ اسمَ صاحبِ فكرتِها المشهورَ، وبين قوسين بعده بقية اسمه، ثم اسم مصدرها، ثم طَبْعته، ونَشْرته، ويثبت عن يسارِ أسفلِها موضعَ الفكرة من مصدرها.



تأنَّقْ	الإخراجُ	١١
أوْجِزْ	العَنْونةُ	١٠
هَذِّبْ	إعادةُ الكتابة	٩
أكْمِلْ	التَّحْشيةُ ، والخَتْم ، والإلحاق ، والفَهْرَسَةُ ، والتَّقديمُ	٨
حَلِّلْ	الاستيعابُ ، والعَرْضُ ، والنَّقْدُ ، والفَصْلُ	٧
انْتَبِهْ	اتّباعُ انْقِسامِ المادة	٦
جَهِّزْ	تَبْطيقُ المادة المناسبُ ، وتوثيقُها ، وعَنْوَنَتُها	٥
تَخَيَّرْ	نوعُ المَصْدر ، وصِحَّته ، وزَمَنه	٤
آمِنْ	اتّصالُ المَسيرة	٣
حَدِّدْ	الكِفايةُ ، والانْحِصارُ	٢
تَبَيَّنْ	الجِدَّةُ ، أو النَّقْصُ	١

مَنْهَجُ الْبَحْثِ الْعِلْميِّ الصَّحيحِ لا الرّائِعِ
أُصولٌ ، وَفُروعٌ ، وَعَلاماتٌ مَحْسوبَةٌ
تَكونُ بِالتَّقْليدِ ، وَتُسْتَوْعَبُ بِالتَّعَلُّم
(خطة الدكتور صقر)

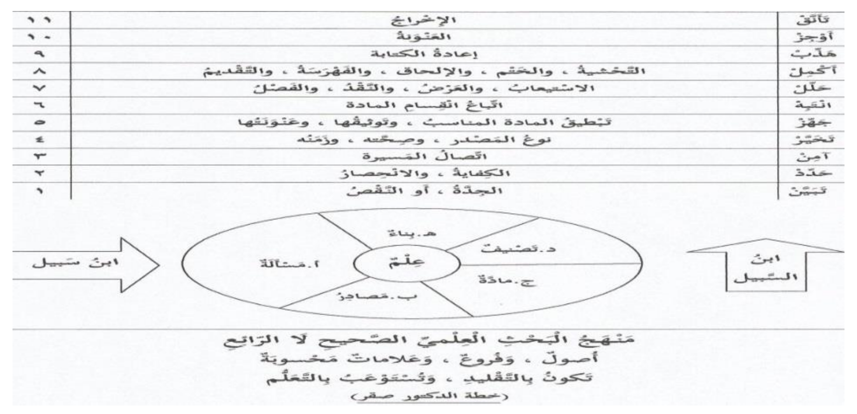
"جَهِّزْ=عَنْوَنَةُ الْمَادَّةِ=٥"

خامسُ فروع المنهج التكميلية تَبطيقُ المادة المناسب وتوثيقُها وعنونتُها، وبِحَسْبِنا الآنَ عنونتُها، وعَلامتُه التنبيهيةُ جَهِّزْ؛ إذ لا سبيل للباحث إلى تمييز مواد بطاقاته الكثيرة ورقيةً ورقميةً إلا بعَنْوَنَتِها أي تسميتها بعبارة موجزة واضحة، وإلا عَجَزَ عن معاملتها؛ فيئس منها، وأعرض عنها.

ولن يستقيم للباحث عنوانٌ على مادةٍ حتى يقرأ بطاقتها، ويقف على فكرتها؛ فيعنونها بها مِنْ فَوْرِهِ قبل أن تُفْلِتَ منه، في مُنْتَصَفِ أعلاها بلون غير لَوْنَيْ كتابتها وتوثيقها كليهما، وهو العنوانُ الذي سيُسمِّي به رَقْميَّتَها على حاسوبه.

لا ريب في أن العنونة مِنْ أصلِها إما صريحةُ الدلالة على فكرة المادة، وإما مُوحية غيرُ صريحة، ربما اشتملتْ على طبيعة إحساس الباحث بها. ولكن لا موضعَ هنا إلا للعنوان الصريح الذي يدُلّ على فكرة المادة دَلالةَ اسم الباحث على الباحث. ومَنْ شاءَ الإيحاء بإحساسه فَدُونَه فَضاءَ البطاقة مُتاحًا يَرْتَعُ منه ما شاء!

إنَّ عناوين البطاقات ورقية ورقمية هي التي ستُمكّن الباحث من أن يَمُرَّ في مادته سريعا كلَّما شاء أن يفتشها لِيتأمَّل ويجمع ويفرق. ومن ذَكَرَ لها هذه الجدوى عَمِلَ لها في مَشْغَلَةِ التَّجْهيز ما لا يَنْدَمُ عليه في مَعْمَعَةِ التَّمْييز!



تَأَنَّقْ	الإخراجُ	١١
أَوْجِزْ	العَنْوَنَةُ	١٠
هَذِّبْ	إعادةُ الكتابة	٩
أَكْمِلْ	التَّحْشِيَةُ ، والخَتْم ، والإلحاق ، والفَهْرَسَةُ ، والتَّقْدِيمُ	٨
حَلِّلْ	الاستيعابُ ، والعَرْضُ ، والنَّقْدُ ، والفَصْلُ	٧
انْتَبِهْ	اتِّبَاعُ انْقِسامِ المادة	٦
جَهِّزْ	تَطْبِيقُ المادة المناسبُ ، وتوثيقُها ، وعَنْوَنَتُها	٥
تَخَيَّرْ	نوعُ المَصْدَر ، وصِحَّته ، وزَمَنه	٤
آمِنْ	اتِّصالُ المَسِيرة	٣
حَدِّدْ	الكِفايةُ ، والانْحِصارُ	٢
تَبَيَّنْ	الجِدَّةُ ، أو النَّقْصُ	١

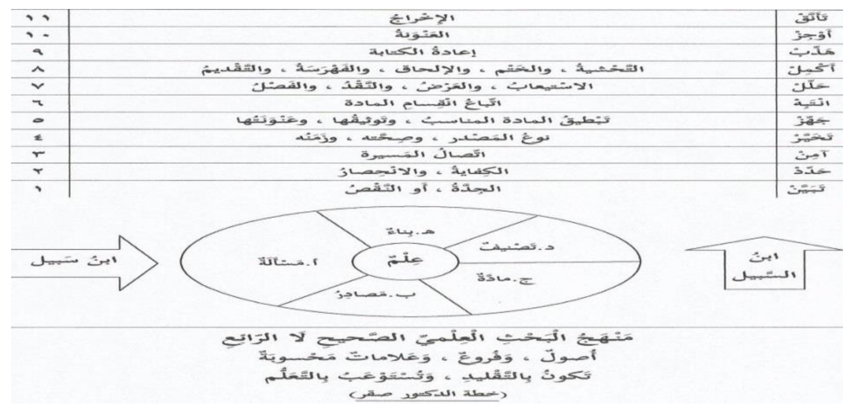
"انْتَبِهْ=اتِّبَاعُ انْقِسَامِ الْمَادَّةِ=٦"

سادسُ فروع المنهج التكميلية اتباعُ انقسام المادة، وعلامتُه التنبيهية انْتَبِهْ؛ إذ ينبغي للباحث أن يَخْضَعَ لما بين مفردات مادته من فروق، فيُراعِيها في تقسيمها وتصنيفها.

وقد استقر مِنْ قبلُ أنْ ليس في هذا المنهج العلمي مادَّةٌ لا تنقسم، وأنها إن لم تَنقسمْ باختلاف طبائعها انْقسمتْ باختلاف خصائصها، وإن لم تَنقسمْ في رأيه انقسمتْ في رأي غيره- وأَنَّه لا غنى به عن أقسامها فيما سيُبَوِّبُه بها من أبواب عمله، ويُفَصِّلُه من فصول ومباحث ومطالب.

ولكن ينبغي هنا تنبيه الباحث على أنْ يَلينَ لِمادته، فلا يَأْبى ما تجري عليه من انقسام، أو يتغافل عنه تَحْكيمًا لانقسام غيرها فيها

أو انْخداعًا بتقسيم غيره لها، بل يُنصت لصوتها هي، ويُصدّقها؛ فإنها المادة التي لم يَستمدَّها من مصادرها إلا هو، ولن تَكْذِبَه.



تأنق	الإخراج	١١
أوجز	العنونة	١٠
هذب	إعادة الكتابة	٩
أكمل	التحشية، والختم، والإلحاق، والفهرسة، والتقديم	٨
حلل	الاستيعاب، والعرض، والنقد، والفصل	٧
انتبه	اتباع انقسام المادة	٦
جهز	تطبيق المادة المناسب، وتوثيقها، وعنونتها	٥
تخير	نوع المصدر، وصحته، وزمنه	٤
آمن	اتصال المسيرة	٣
حدد	الكفاية، والانحصار	٢
تبين	الجدة، أو النقص	١

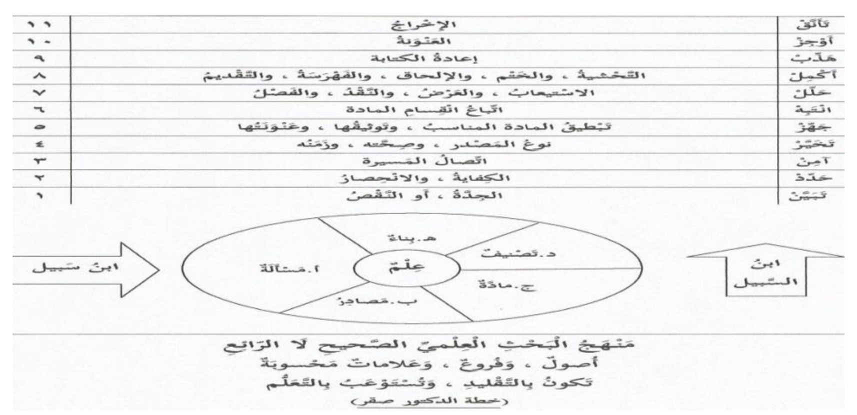
"حَلِّلْ=الِاسْتِيعَابُ=٧"

سابعُ فروع المنهج التكميلية الاستيعابُ والعرضُ والنقدُ والفصلُ، وبِحَسْبِنا الآنَ الاستيعابُ، وعلامتُه التنبيهيةُ حَلِّلْ؛ إذ لن يتيسر للباحث بحثٌ حتى يستوعب ما اجتمع له من مادة، ولن يستوعبها حتى يُحَلِّل مُركَّباتها وَيَتَدَسَّس إلى مُضْمَن طواياها ويَطَّلِع على مكوناتها.

ولْتَكُنْ هذه المادةُ من مظاهر الظواهر الطبيعية أو الاصطناعية، أو من آراء المتأملين المتفكرين، أو أيًّا ما تكون؛ فلابد للباحث أن ينقطع لها مفرداتٍ وأقسامًا مثلما ينقطع الناسكُ، ويتأملها مثلما يتأمل العاشقُ، حتى تَتَكشَّف له مثلما تَتَكشَّف في ظهيرة النهار شمسُ الصحراء؛ فعندئذ يستوعبها مثلما يستوعب

الوعاءُ مُوعَبَهُ؛ فلا يذهب ولا يؤوب إلا بها، ولا يقوم ولا يقعد ولا ينام ولا يصحو، وتبوح له بأسرارها، وتَتَأَنَّى حتى يسجلها!

ولا حَرَجَ على الباحث أن يَتَّهِمَ هو نفسُه استيعابَه لمادَّته قبل أن يتهمَه غيرُه، فيُراجعها مرةً أخرى، حتى يستقرَّ استيعابُه- بل الحرجُ أنْ يظل معها على قلق، كأنه أَسيرٌ ينتظر الإطلاق، ولا استيعابَ مع قَلَقٍ.



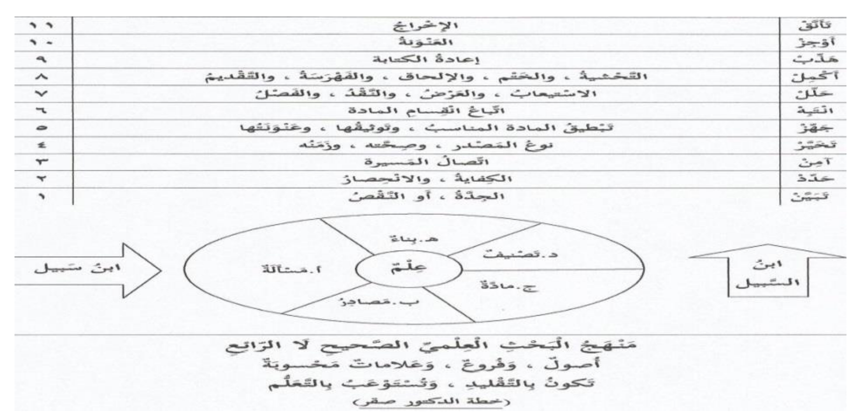
تأنّق	الإخراج	١١
أوجز	العنونة	١٠
هذّب	إعادة الكتابة	٩
أكمِل	التّحشية ، والختم ، والإلحاق ، والفهرسة ، والتّقديم	٨
حلّل	الاستيعاب ، والعرض ، والنّقد ، والفصل	٧
انتبِه	اتّباع انقسام المادة	٦
جهّز	تطبيق المادة المناسب ، وتوثيقها ، وعنونتها	٥
تخيّر	نوع المصدر ، وصحّته ، وزمنه	٤
آمِن	اتّصال المسيرة	٣
حدّد	الكفاية ، والانحصار	٢
تبيّن	الجدّة ، أو النّقص	١

"حَلِّلْ=الْعَرْضُ=٧"

سابعُ فروع المنهج التكميلية الاستيعابُ والعرضُ والنقدُ والفصلُ، وبِحَسْبِنا الآنَ العَرْضُ، وعلامتُه التنبيهيةُ حَلِّلْ؛ إذ ينبغي للباحث أن يُحْسن عَرْضَ مادَّته على مُتلقِّيها مثلما تُعرَضُ عليهم مطالبُهم في مَعَارِضِها، عَرْضًا ذكيًّا يجذبهم إليها ويُقْنِعُهُمْ بها.

وأحسنُ مَعارض مادة البحث الجداولُ الإحصائيةُ التي يَحْدِسُ فيها الباحثُ بأهم مظاهرها دلالة على ظواهرها؛ فيُجَدْوِلُ مفرداتها بحيث تدُلّ عليها نِسَبُها منها دلالةً واضحةً، ثم إذا شاء استفاد من بيانات الجداول في صناعة رسوم بيانية أوضح دلالة وأسرع إقناعا.

وليس أدلَّ تعبيرا عن قُدْرة الجداول ثم الرسوم البيانية على عَرْضِ مادةِ أيِّ بحثٍ -مهما كانت- من قول المصريين: "الفِيل في المنديل"، الذي يصفون به إحاطةَ الصغير بالكبير، وما أَشْبَهَهُ عندهم بعَمَلِ السَّحَرَة!



تأنق	الإخراج	١١
أوجز	العنونة	١٠
هذب	إعادة الكتابة	٩
أكمِل	التحشية ، والختم ، والإلحاق ، والفهرسة ، والتقديم	٨
حلّل	الاستيعاب ، والعرض ، والنقد ، والفصل	٧
انتبه	اتباع انقسام المادة	٦
جهّز	تطبيق المادة المناسب ، وتوثيقها ، وعنونتها	٥
تخيّر	نوع المصدر ، وصحته ، وزمنه	٤
آمِن	اتصال المسيرة	٣
حدّد	الكفاية ، والانحصار	٢
تبيّن	الجدة ، أو النقص	١

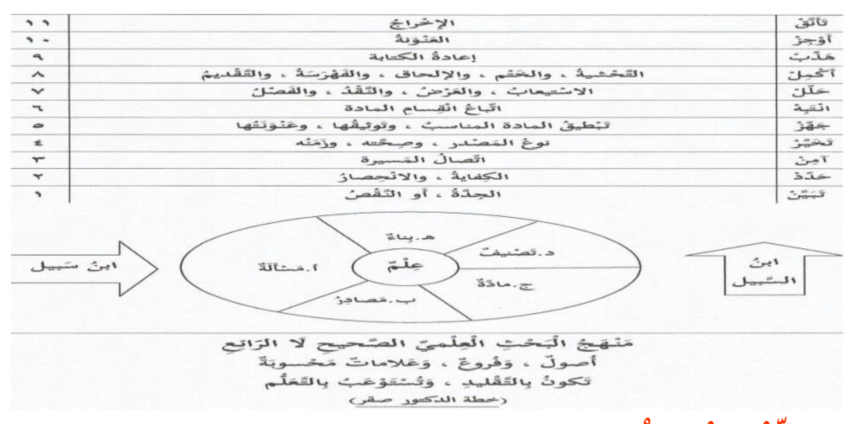
مَنهجُ البحثِ العِلْميّ الصّحيحِ لا الرّائعِ
أصولٌ ، وفروعٌ ، وعلاماتٌ محسوبةٌ
تكونُ بالتقليدِ ، وتُستوعَبُ بالتعلُّم
(خطة الدكتور صقر)

"حَلِّلْ=النَّقْدُ=٧"

سابعُ فروع المنهج التكميلية الاستيعابُ والعرضُ والنقدُ والفصلُ، وبِحَسْبِنا الآنَ النقدُ، وعلامتُه التنبيهيةُ حَلِّلْ؛ إذ ينبغي للباحث أن يُقَلِّبَ مادتَه المعروضة على كلِّ ما تحتمله من وجوه قريبة كانت هذه الوجوه أو بعيدة، وقوية أو ضعيفة، وحسنة أو قبيحة.

لقد حَدَسَ من قبل بأَدَلِّ مظاهرها على ظواهرها، وجَدْوَلَ مُفرداتِ هذه المظاهر، وحَدَّدَ نِسَبَ بعضِها من بعض؛ فالآن يَستخرجُ مُعطياتِها، ويَتأمَّلها، ويَتذوَّقُها، ويُمَيِّزُ بعضَها من بعض بكل ما تتميز به، ويُفسّر حدوثها بكل ما يصح لديه، مما ثبت في كلِّ علمٍ تَعَلَّمَه.

ولا ريب في أن العرض هو باب النقد؛ ومن ثم لا حَرَجَ على الباحث في أن يضبط بعضهما ببعض، فيعتني في العرض بما يحتفي به في النقد، ويوضح في العرض ما يسهل عليه في النقد، فإذ استترتْ عنه في النقد مُعطياتٌ أو غَمَضَتْ عليه، عاد إلى العرض، فعالجه بما يُبْرِزُها ويُبَدِّدُ غُموضَها.



تَأَنَّقْ	الإخراجُ	١١
أَوْجِزْ	العَنْوَنةُ	١٠
هَذِّبْ	إعادةُ الكتابة	٩
أَكْمِلْ	التَّحْشِيَةُ ، والخَتْم ، والإلحاق ، والفَهْرَسَةُ ، والتَّقديمُ	٨
حَلِّلْ	الاستيعابُ ، والعَرْضُ ، والنَّقْدُ ، والفَصْلُ	٧
انْتَبِهْ	اتِّباعُ انْقِسامِ المادة	٦
جَهِّزْ	تَبْطيقُ المادة المناسبُ ، وتوثيقُها ، وعَنْوَنَتُها	٥
تَخَيَّرْ	نوعُ المَصْدر ، وصِحَّته ، وزَمَنه	٤
آمِنْ	اتِّصالُ المَسيرة	٣
حَدِّدْ	الكِفايةُ ، والانْحِصارُ	٢
تَبَيَّنْ	الجِدَّةُ ، أو النَّقْصُ	١

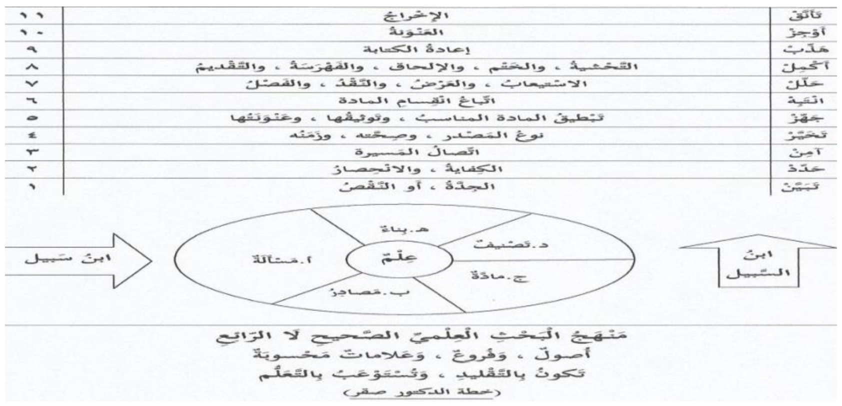
مَنْهَجُ الْبَحْثِ الْعِلْميِّ الصَّحيحِ لا الرّائِجِ
أُصولٌ ، وَفُروعٌ ، وَعَلاماتٌ مَحْسوبَةٌ
تَكونُ بِالتَّقْليدِ ، وَتُسْتَوْعَبُ بِالتَّعَلُّمِ
(خطة الدكتور صقر)

"حَلِّلْ=الْفَصْلُ=٧"

سابعُ فروع المنهج التكميلية الاستيعابُ والعرضُ والنقدُ والفصلُ، وبحسبنا الآن الفصلُ، وعلامتُه التنبيهيةُ حَلِّلْ؛ وإنما حَلَّلَ الباحثُ ما حَلَّلَ مِنْ أجل هذا الموقف الذي يبدو فيه كأنه يُركِّبُ ما حَلَّلَ؛ فتستبين له ملامحُ وجهِ الرأي الصحيح، فيقطع به دون غيره قولًا واحدًا لا ثاني له؛ فإنه إن لم يفعل كان كأنه عَبِثَ عَبَثًا، ولم يُحلِّل، ولَهُوَ أَشْبَهُ عندئذ بالطفل الطُّلَعَةِ الذي لا يترك جهازا إلا فَكَّكَه، ولا يُفَكِّك جِهازًا إلا تَرَكَه!

ربما رأى بعض الباحثين أن في النقد أَيْ تَقْليب المادة وتمييز وجوهها، إيحاءً بالفصل أو إغناءً عنه- وأن في الاقتصار عليه وجهًا من حسن سياسة المتلقي؛ إذ يُوهِمُه عندئذ بأنه هو الذي

فَصَلَ، وهو إنما وُجِّهَ فاتَّجَهَ. ولكنها حالٌ لا تخلو من شكٍّ ورياءٍ وإهمالٍ وقلقٍ وبَرَم، فأما اليقينُ والإخلاصُ والإتقانُ والثباتُ والرضا فهي كلُّها في مجاوزة النقد إلى فَصْلِ الرأيِ الصحيحِ الواحدِ.



تأنَّق	الإخراج	١١
أوجِزْ	العَنونةُ	١٠
هَذِّبْ	إعادةُ الكتابة	٩
أكمِلْ	التَّحشيةُ ، والخَتمِ ، والإلحاق ، والفَهرَسَةُ ، والتَّقديمُ	٨
حَلِّلْ	الاستيعابُ ، والعَرْضُ ، والنَّقدُ ، والفَصْلُ	٧
انتَبِهْ	اتّباعُ انقِسامِ المادة	٦
جَهِّزْ	تَنْطيقُ المادة المناسِبُ ، وتوثيقُها ، وعَنونَتُها	٥
تَخَيَّرْ	نوعُ المَصْدر ، وصِحَّته ، وزَمَنه	٤
آمِنْ	اتّصالُ المَسيرة	٣
حَدِّدْ	الكِفايةُ ، والانحِصارُ	٢
تَبَيَّنْ	الجِدَّةُ ، أو النَّقصُ	١

مَنهَجُ البَحثِ العِلْميّ الصَّحيحِ لا الرّائِع
أصولٌ ، وَفُروعٌ ، وَعَلاماتٌ مَحْسوبَةٌ
تَكونُ بِالتَّقْليدِ ، وَتُسْتَوْعَبُ بِالتَّعَلُّمِ
(خطة الدكتور صقر)

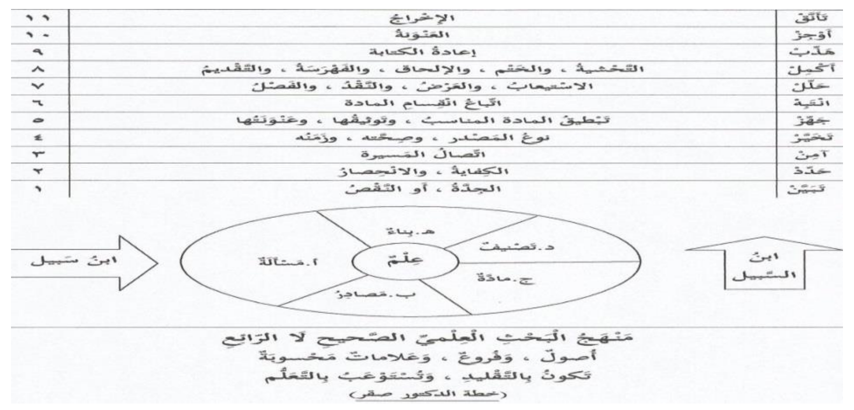
"أَكْمِلْ=التَّحْشِيَةُ=٨"

ثامنُ فروع المنهج التكميلية التحشيةُ والختمُ والإلحاقُ والفهرسةُ والتقديمُ، وبحسبنا الآن التحشيةُ، وعلامتُه التنبيهيةُ أَكْمِلْ؛ إذ ينبغي للباحث أن يُخْلِيَ مَتْنَ بحثه مِمّا يَعوقُ انطلاقَ فَهْمِ المتلقي، فأما ما لا فائدة فيه ولا منفعة به فلابد له من مَنْعِه أنْ يُغَافِلَه إلى المتن، أو حذفه إذا غَافَلَه إليه- وأما ما فيه فائدةٌ وبه منفعةٌ فلابد له من نقله إلى حاشيته.

إن تحشية متن البحث هي إحاطته من خارجه بكل ما يفيده وينفعه، حتى إذا ما ارتاح منه المتلقي إلى قرارٍ انصرف إلى حاشيته؛ فازداد بما فيها فائدة ومنفعة.

وربما حَرَصَ بعض الباحثين على ألا تتجاوز الحاشية بِضعَ كلمات، وأَدْرَجَها في أَثْناء المتن بين شَرْطَتَيْنِ حتى يستوي البحثُ إراحةً للمتلقي كأنه مَتْنٌ لا حاشيةَ له. أما إذا زادت الحاشية على ذلك فلابد له من تأخيرها إلى هامش الصفحة، وهذه هي الحاشية السُّفْلِيَّة- أو إلى ما بعد البحث أو بعض أبوابه أو فصوله، وهذه هي الحاشية البَعْدِيَّة.

وقد التزمتْ بعضُ منابر النشر بعضَ أنواع الحواشي دون بعضٍ، وألزمتْ باحثيها، ولا ريب في أن المُدْرَجَةَ أَخَفُّ على الباحث، والبَعْدِيَّة أخفُّ على الناشر، والسُّفليَّة أخفُّ على المتلقي، إلا أن تَسوءَ التَّحْشِية، فيستخفّ بها الناشر والمتلقي كلاهما، ويَندمَ الباحث!



تأنق	الإخراج	١١
أوجز	العنونة	١٠
هذّب	إعادة الكتابة	٩
أكمِل	التحشيةُ ، والختم ، والإلحاق ، والفهرسةُ ، والتقديم	٨
حلّل	الاستيعابُ ، والعرضُ ، والنقدُ ، والفصلُ	٧
انتبِه	اتّباع انقسام المادة	٦
جهّز	تطبيقُ المادة المناسبُ ، وتوثيقُها ، وعنونتُها	٥
تخيّر	نوعُ المصدر ، وصحّته ، وزمنه	٤
آمِنْ	اتّصالُ المسيرة	٣
حدّدْ	الكفايةُ ، والانحصارُ	٢
تبيّنْ	الجدّةُ ، أو النقصُ	١

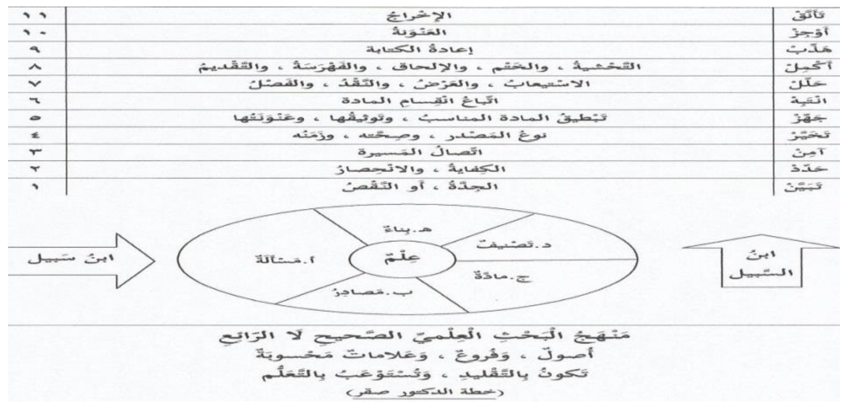
مَنهجُ البحثِ العِلميّ الصّحيحِ لا الرّائعِ
أصولٌ ، وفروعٌ ، وعلاماتٌ محسوبةٌ
تكونُ بالتّقليدِ ، وتُستوعَبُ بالتّعلّم
(خطة الدكتور صقر)

"أَكْمِلْ=الْخُتْمُ=٨"

ثامنُ فروع المنهج التكميلية التحشيةُ والختمُ والإلحاقُ والفهرسةُ والتقديمُ، وبِحَسْبِنا الآنَ الختمُ، وعلامتُه التنبيهيةُ أَكْمِلْ؛ إذ ينبغي للباحث أن يجمع خيوط نتائج بحثه ليعقد بها عُقْدَةَ خاتمته -والأعمال بخواتيمها- فيَدُلّ على عمله، ويُدِلّ به، ويُثبت وفاءَه بما سَيَعِدُ في المقدمة.

ومما يُعينه على حسن الخَتْم أن يَشفَعَ كلَّ ما يكتمل من أجزاء بحثه أبوابًا كانت أو فصولًا أو مباحث، بملخَّص ما حصل له فيها من نتائج، حتى إذا ما قائم قائم الختم وأَزِفَ الترحل اعتمد على ملخصات نتائج الأجزاء، ولم يَجْنِ عليه تَعَجُّلُ الفراغ.

ولا ريب في أنه إذا كَثُرَتْ نتائجُه الكبيرةُ استغنى بها في الخاتمة عن الصغيرة، وأحقُّ الأفكار بمقام النتائج الكبيرة تلك التي فَصَلَ فيها بالرأي الواحد. وإذا أَعْوَزَتْهُ النتائجُ الكبيرة التجأ إلى الصغيرة حتى تكتمل الخاتمة؛ فكما يَحْذَرُ أن تَطُولَ فتُظَنّ أحدَ فصول بحثه، يَحْذَرُ أن تقصُرَ فتُظَنَّ إحدى حواشيه.



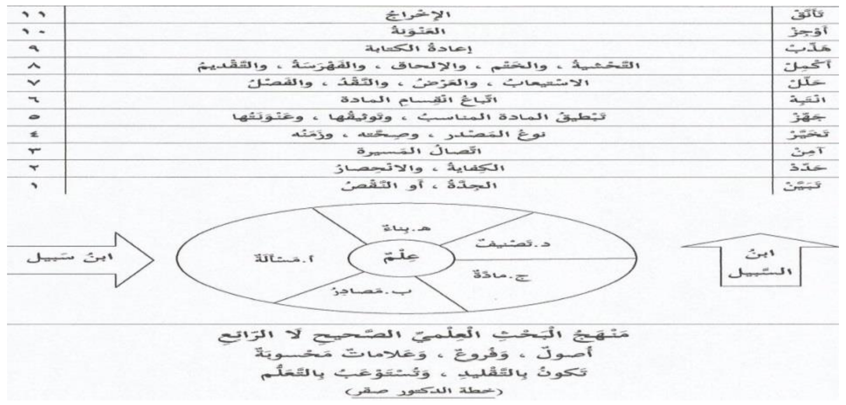
تأنق	الإخراج	١١
أوجز	العنونة	١٠
هذب	إعادة الكتابة	٩
أكمل	التحشية ، والختم ، والإلحاق ، والفهرسة ، والتقديم	٨
حلل	الاستيعاب ، والعرض ، والنقد ، والفصل	٧
انتبه	اتباع انقسام المادة	٦
جهز	تطبيق المادة المناسب ، وتوثيقها ، وعنونتها	٥
تخير	نوع المصدر ، وصحته ، وزمنه	٤
آمن	اتصال المسيرة	٣
حدد	الكفاية ، والانحصار	٢
تبين	الجدة ، أو التقص	١

"أَكْمِلْ=الْإِلْحَاقُ=٨"

ثامنُ فروع المنهج التكميلية التحشيةُ والختمُ والإلحاقُ والفهرسةُ والتقديمُ، وبِحَسْبِنا الآنَ الإلحاقُ، وعلامتُه التنبيهيةُ أَكْمِلْ؛ إذ ربما احتاج الباحث إلى إضافة مجموعات تَوضيحيّة من المعلومات الْمُنظَّمة المتعلقة ببحثه، التي لا تتسع لها حواشيه ولا تناسبها؛ فسَلَكَها في ملحقات، وأَضَافَها إلى بحثه من آخره.

مِنْ هذه الملحقات مُلْحَقُ مُفْردات المادة التي كان فيها البحثُ من أصله، ومُلْحَق مُصطَلحات مجال البحث الذي يُقابَلُ فيه أحيانا بين اللغات المختلفة، ومُلْحق الصورِ والرسوم والخرائط والجداول، وغير ذلك.

ولا تستوي هذه الملحقاتُ، لا أهميةً ولا إمكانًا؛ فبعضُها أهمٌّ في بعض الأبحاث منه في بعض، وبعضها أظهر إمكانا في بعضها منه في بعض. وربما اقتضى بعضُ الأبحاث من الملحقات ما لم يُعْهَد في غيره؛ فكان من فطنة الباحث وتوفيقه.



تأنَّقْ	الإخراجُ	١١
أَوْجِزْ	العَنْوَنةُ	١٠
هَذِّبْ	إعادةُ الكتابة	٩
أَكْمِلْ	التَّحْشيةُ ، والخَتْمُ ، والإلحاقُ ، والفَهْرَسَةُ ، والتَّقديمُ	٨
حَلِّلْ	الاستيعابُ ، والعَرْضُ ، والنَّقْدُ ، والفَصْلُ	٧
انْتَبِهْ	اتّباعُ انْقِسامِ المادة	٦
جَهِّزْ	تَنْطيقُ المادة المناسبُ ، وتوثيقُها ، وعَنْوَنَتُها	٥
تَخَيَّرْ	نوعُ المَصْدر ، وصِحَّته ، وزَمَنه	٤
آمِنْ	اتِّصالُ المَسيرة	٣
حَدِّدْ	الكِفايةُ ، والانْحِصارُ	٢
تَبَيَّنْ	الجِدَّةُ ، أو النَّقْصُ	١

مَنْهَجُ الْبَحْثِ الْعِلْميِّ الصَّحيحِ لا الرّائِع
أُصولٌ ، وَفُروعٌ ، وَعَلاماتٌ مَحْسوبَةٌ
تَكونُ بِالتَّقْليدِ ، وَتُسْتَوْعَبُ بِالتَّعَلُّم
(خطة الدكتور صقر)

"أَكْمِلْ=الْفَهْرَسَةُ=٨"

ثامنُ فروع المنهج التكميلية التحشيةُ والختمُ والإلحاقُ والفهرسةُ والتقديمُ، وبِحَسْبِنا الآنَ الفهرسةُ، وعَلامتُه التنبيهيةُ أَكْمِلْ؛ إذ البحثُ بيتٌ مُغلق على ما فيه لا يعرفه ويحسن وصفه إلا صاحبُه الذي بناه وعاش فيه، فأما زائرُه الذي يمر عليه مُرورًا فلا يستطيع وصفه حتى يُعْطَى مَفاتيحَه، وما مفاتيحُ البحث إلا فهارسُه.

إن فهرسةَ البحث هي جمعُ عناوينِه الداخلية وكلِّ ما أَشْبَهَها من دقائقه المهمةِ المُؤَثِّرة في حركته، وترتيبُها على حسب وُرودها فيه أو على حسب علاقة بعضها ببعض، ثم مُقابلتُها بأرقام صفحات ورودها فيه حتى يستطيع المتلقي أن يَتَخَيَّل

باجتماعها في الفهارس أمامه بُنيانَ البحث، وأن يتتبع منها ما شاء. وليس الباحث نفسه بعد حين بأغنى عنها من المتلقي.

وأصلحُ مواضع الفهارس من البحث أن يَتَقَدَّمَ فهرسُ العناوين إلى عَقِبِ صفحة عنوان البحث نفسه، وتَتَأَخَّرَ سائرُ الفهارس إلى ما بعد البحث، ويشار إليها في فهرس العناوين.

ولقد ينبغي للمتلقي أن يعرف وللباحث أن يعترف، أن ليس كل ما يُنْشَرُ يُطَّلَع عليه كاملا، وإلا ما صَحَّ استقراءٌ مع استقصاءٍ- وأنَّ من مَناقب الفهارس الْمُتْقَنَةِ أن تُعينَ المتلقيَ على اختيار أَحَدِهما (الاستقصاء والاستقراء). وما أَشْبَهَ الفهارسَ الْمُبْتَسَرةَ أو المضطربةَ بالمفاتيح الناقصة أو الصَّدِئة، يُعطيها صاحبُ البيت زائرَه عفوًا أو قصدًا؛ فيَعرف منه، ويُنكر، ويَرتاب!

تأنَّقْ	الإخراجُ	١١
أوْجِزْ	العَنْوَنةُ	١٠
هَذِّبْ	إعادةُ الكتابة	٩
أكْمِلْ	التَّحْشيةُ ، والخَتْم ، والإلحاق ، والفَهْرَسَةُ ، والتَّقديمُ	٨
حَلِّلْ	الاستيعابُ ، والعَرْضُ ، والنَّقْدُ ، والفَصْلُ	٧
انْتَبِهْ	اتِّباعُ انْقِسامِ المادة	٦
جَهِّزْ	تَبْطيقُ المادة المناسبُ ، وتوثيقُها ، وعَنْوَنَتُها	٥
تَخَيَّرْ	نوعُ المَصْدر ، وصِحَّته ، وزَمَنه	٤
آمِنْ	اتِّصالُ المَسيرة	٣
حَدِّدْ	الكِفايةُ ، والانْحِصارُ	٢
تَبَيَّنْ	الجِدَّةُ ، أو النَّقصُ	١

ابنُ سَبيل

أ.مسألة

ب.مصادرُ

ج.مادَّة

د.تصنيف

هـ.بناء

عِلْمٌ

ابنُ السَّبيل

مَنْهجُ البَحْثِ العِلْميّ الصَّحيح لا الرّائع

أصولٌ ، وَفُروعٌ ، وَعَلاماتٌ مَحْسوبَةٌ

تَكونُ بِالتَّقْليدِ ، وَتُسْتَوْعَبُ بِالتَّعَلُّم

(خطة الدكتور صقر)

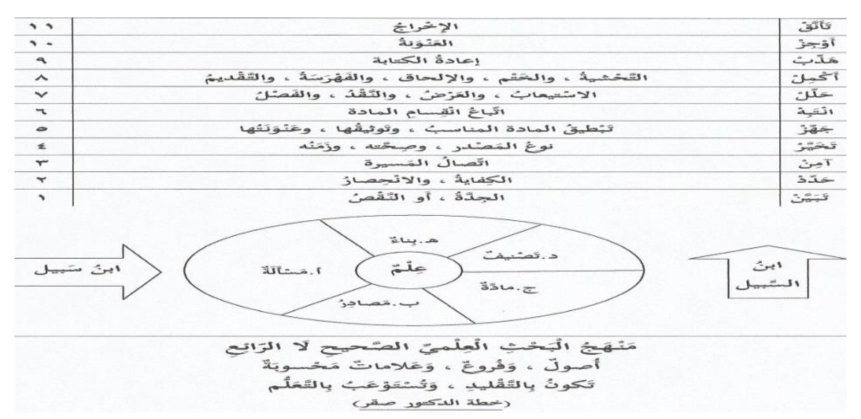
"أَكْمِلْ=التَّقْدِيمُ=٨"

ثامنُ فروع المنهج التكميلية التحشيةُ والختمُ والإلحاقُ والفهرسةُ والتقديمُ، وبِحَسْبِنا الآنَ التقديمُ، وعَلامتُه التنبيهيةُ أَكْمِلْ؛ إذ لن يتحدث عن البحث مثل صاحبه، فيُفْسِح بين يديه الطريقَ إلى إقناع المتلقي وإقباله، مثلما تفعل نَشْرَةُ الدواء الملفوف بها في عُلبته بِمُتَناوِلِه؛ فعلى رغم أنها ليست من الدواء لا يرتاح إليه مُتناوِلُه إلا بها.

إن تقديم البحث هو سَبْقُه بعد الفراغ منه بما يُشيرُ إلى طبيعته ويَطمحُ بجسارته ويُنبهُ على قيمته، من عرض مسألته ودواعيها ومناقبها ومواعدها ومصادرها ومصاعبها ومسالكها،

وشكر كل من ساعد على إنجاز بحثها، من غير إكراه هذه المقدمة على ما أغناها عنه قبلها فهرسُ العناوين.

وإن من حكمة الباحث أن يؤخر كتابة مقدمة بحثه حتى يفرغ منه كله، فيحرص على أن تَتلاءمَ هي وخاتمتُه مثلما تتلاءم نغمتا القرار والجواب في اللحن المستقيم الواحد، من غير حِنْثٍ بموعدة، ولا حَيْدةٍ عن قصد.



تأنَّق	الإخراج	١١
أوجِزْ	العَنونة	١٠
هَذِّبْ	إعادة الكتابة	٩
أكْمِلْ	التَّحْشِيَةُ ، والخَتم ، والإلحاق ، والفَهرَسَةُ ، والتَّقديمُ	٨
حَلِّلْ	الاستيعابُ ، والعَرْضُ ، والنَّقدُ ، والفَصْلُ	٧
انتَبِهْ	اتِّباعُ انقِسامِ المادة	٦
جَهِّزْ	تَطبيقُ المادة المناسبُ ، وتوثيقُها ، وعَنونَتُها	٥
تَخيَّرْ	نوعُ المَصدر ، وصِحَّته ، وزَمَنه	٤
آمِنْ	اتِّصالُ المَسيرة	٣
حَدِّدْ	الكِفايةُ ، والانحِصارُ	٢
تَبَيَّنْ	الجِدَّةُ ، أو النَّقصُ	١

مَنهجُ البَحثِ العِلميِّ الصَّحيحِ لا الرّائِع
أصولٌ ، وَفروعٌ ، وَعَلاماتٌ مَحسوبَةٌ
تَكونُ بِالتَّقليدِ ، وَتُستَوعَبُ بِالتَّعلُّم
(خطة الدكتور صقر)

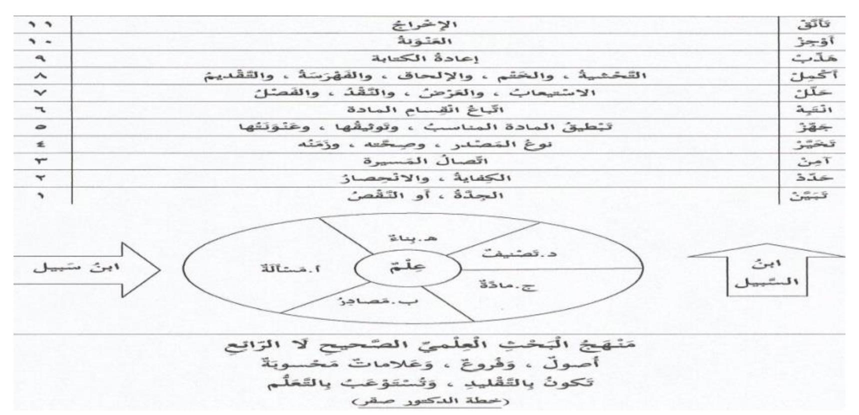
"هَذِّبْ=إِعَادَةُ الْكِتَابَةِ=٩"

تاسعُ فروع المنهج التكميلية إعادةُ الكتابة، وعلامتُه التنبيهية هَذِّبْ؛ إذ ما كتابة البحث الأولى إلا تحقيق صورته المتخيلة، وهو العمل العظيم حقا، ولكنه لا يخلو من اضطراب علاقة الحقيقة بالخيال.

إن في الإعادة ولادةً أخرى حقيقية، لا إفادة فقط؛ ومن ثم يخافها كثير من الفنانين حرصا على براءة الصورة الخيالية وطراءتها، ويَسْترخصونَ إليها كلَّ ما تَلِدُهُ الإعادةُ من استقامةٍ واتساقٍ واتزانٍ وانضباطٍ. فأما العلماءُ -وطلابُ العلم هم العلماءُ- فلا يصبرون على اضطراب، ولا يعالجونه إلا بإعادة الكتابة.

يفرح الباحث بالكتابة الأولى أيَّما فرح؛ فهي الشَّبَكة التي اصطاد بها سَمَكَه، ثم ينصرف بإعادة الكتابة إلى تهذيبها مثلما ينصرف الصياد إلى إصلاح سمكه لأكله أو بيعه؛ فيقدم، ويؤخر، ويضيف، ويحذف، حتى لا يبدو له فيها عمل.

ولا حَرَجَ على الباحث الذي أعاد الكتابة -ثم بدا له- في أن يعيدها مرة أخرى أو مرارا؛ بل الحرج في أن يكسل عن ذلك، فيظل طوال عمره يُعاقِرُ اللَّوَّ واللَّيْتَ! وبئستْ معاقرتُها صحبةً؛ فإنَّ لها لَنَهْشةً ولا نَهْشَةَ الأفعى، وصَحوةً ولا صحوةَ الموتِ!



تأنّقْ	الإخراجُ	١١
أوْجِزْ	العَنْوَنةُ	١٠
هَذِّبْ	إعادةُ الكتابة	٩
أكمِلْ	التّحْشيةُ ، والخَتْم ، والإلحاق ، والفَهْرَسَةُ ، والتّقديمُ	٨
حلِّلْ	الاستيعابُ ، والعَرْضُ ، والنّقْدُ ، والفَصْلُ	٧
انْتَبِهْ	اتّباعُ انْقِسامِ المادة	٦
جَهِّزْ	تَطْبيقُ المادة المناسبُ ، وتَوثيقُها ، وعَنْوَنَتُها	٥
تَخَيَّرْ	نوعُ المَصْدر ، وصِحَّته ، وزَمَنه	٤
آمِنْ	اتّصالُ المَسيرة	٣
حَدِّدْ	الكِفايةُ ، والانْحِصارُ	٢
تَبَيَّنْ	الجِدّةُ ، أو النّقْصُ	١

مَنْهَجُ الْبَحْثِ الْعِلْميِّ الصّحيحِ لَا الرّائِعِ
أُصولٌ ، وَفُروعٌ ، وَعَلاماتٌ مَحْسوبَةٌ
تَكونُ بِالتّقْليدِ ، وَتُسْتَوْعَبُ بِالتّعَلُّم
(خطة الدكتور صقر)

"أَوْجِزْ=الْعَنْوَنَةُ=١٠"

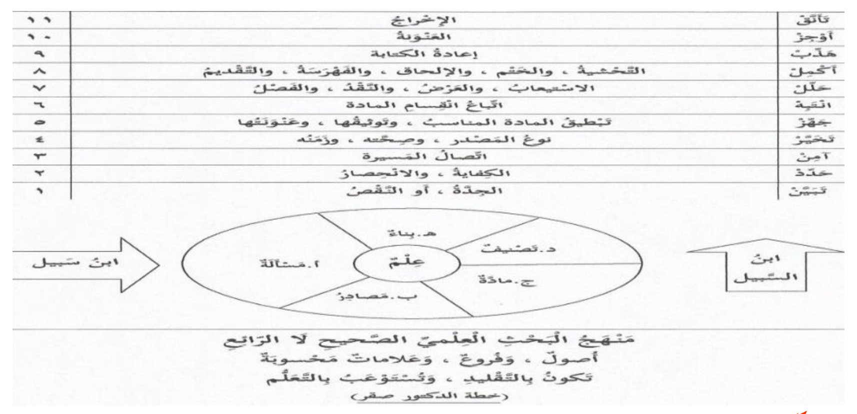
عاشِرُ فروع المنهج التكميلية العَنْوَنَةُ، وعَلامتُه التنبيهية أَوْجِزْ؛ إذ ينبغي للباحث أن يقدر أن المتلقي سيمر سريعا على بحثه مستقلًّا كان بحثُه هذا أو غير مستقل، لينتقل إلى غيره في مدة جَمْعِهِ المحددة.

إن العنونة هي تسمية البحث كله بعد الفراغ منه، اسمًا يدل عليه ويشير إليه؛ فما أكثر العناوين التي سُمِّيتْ بها الأبحاثُ قبل الفراغ منها، ثم أَخْلَفَتْها بعدئذ؛ فحار فيها الباحثون وكأنَّ تغييرها عملٌ مَهينٌ من أعمال التَّفْريط، وهو حقُّ اليَقين!

وأحسنُ أحوال العَنْوَنَة أن تكون بمسألة البحث موجزةً صريحةً. ولا يُقْنِعُ الباحثَ مثلُ أن يَذْكُرَ ما لقيه هو نفسه في أثناء

جمع مادته من الأبحاث القبيحة العناوين، كيف ضَلَّلَتْه، وكيف عَطَّلَتْه! فإن أَبى إلا الإِيحاء فَلْيَجْعَلْه بعنوان آخر مع العنوان الصريح.

ومن وُجوه العَنْوَنَةِ بمسألة البحث أن يكون العنوانُ نفسُه هو الرأيَ الذي انتهى الباحث إلى قبوله في المسألة أو إلى رفضه؛ فهو عنونة بالمسألة وزيادة، وإن لم يستقم في أوهام السياسيين!



تأنق	الإخراج	١١
أوجز	العنونة	١٠
هذب	إعادة الكتابة	٩
أكمل	التحشية ، والختم ، والإلحاق ، والفهرسة ، والتقديم	٨
حلل	الاستيعاب ، والعرض ، والنقد ، والفصل	٧
انتبه	اتباع انقسام المادة	٦
جهز	تطبيق المادة المناسب ، وتوثيقها ، وعنونتها	٥
تخير	نوع المصدر ، وصحته ، وزمنه	٤
آمن	اتصال المسيرة	٣
حدد	الكفاية ، والانحصار	٢
تبين	الجدة ، أو النقص	١

"تَأَنَّقْ=الْإِخْرَاجُ=١١"

آخرُ فروع المنهج التكميلية الأحدَ عَشَرَ الإخراجُ، وعلامتُه التنبيهيةُ تَأَنَّقْ؛ إذ ينبغي للباحث ألا يُخْرِجَ بحثَه إلا في أبهى حُلَّة؛ فلا يترك شيئا يستولي على إقبال المتلقي على بحثه وارتياحه إليه وقبوله له واستمراره فيه إلا صنعه به، من نوع الحبر ولونه ونوع الخط وحجمه، إلى ترقيم الجمل وتنسيق الفقر والعناوين والصفحات، ثم اختيار ورق الطباعة والتغليف، وما إلى ذلك مما لا تنقضي عجائبه.

إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه. وإن تأنق الباحث في إخراج بحثه لهو شعار الإتقان؛ فلم تعد جودة البحث في نفسه كافية ولا مستقلة عن جودة إخراجه، بل صار حُكْمُ

المتلقي على البحث وعلى إخراجه حُكْمًا واحدًا، يقول: لو كان جيدا لأجاد إخراجه، ولو كان مهما لاهتم بإخراجه.

وإن من تأنق الباحث في إخراج البحث أن يختار له أفضل نَشْرَةٍ تُوصِلُه إلى المتلقي. وإذا كانت المكتبات درجات بعضُها فوق بعض، فإن المجلات كذلك درجات بعضها فوق بعض، حتى صار مُحكّمو الأبحاث وَهُمْ سَادَةُ الْمُتَلَقِّينَ، يراعون درجات المجلات في تقدير المقالات، كما يراعون درجات المكتبات في تقدير الكتب.

وإنما يوفق من يستحق التوفيق!

والحمد لله رب العالمين!

بَيْنَ الْفَنَّانِينَ وَالْعُلَمَاءِ

اخْتِلَافُ الْفَنَّانِينَ وَالْعُلَمَاءِ

جرّبتُ مرة أن أتخيل اختلاف الفنانين والعلماء في تقدير ظاهرة الشذوذ اللغوي، فبدا لي أنْ ليس أقرب عند العلماء من أن الشاذ (المنحرف) ما هو إلا بقية المطرد (المستقيم) التي بها معه تكتمل مادة اللغة، وأنهم إنما أقاموا قواعدهم على ما ائتلف ثم نبهوا معه على ما اختلف. وبدا لي أن ليس أقرب عند الفنانين من أن مكانة الشاذ في مكانه من المطرد، خَالًا مُثِيرًا في خَدِّ حَسناءَ بَرْزَةٍ!

والآن أَتَأَمَّلُ اشتغال العلماء في تقدير ظاهرة الشذوذ اللغوي بانقسام مادة اللغة بينهما واكتمالها بهما جميعا، واشتغال الفنانين في تقديرها بانقسام تأثير اللغة بينهما واكتماله بهما جميعا، وأَعْجَبُ!

لقد اتَّحدتْ بين الفنانين والعلماء المسألة، واختلفت وجهتا النظر؛ فكان الرأيان؛ فكيف يغني أحدهما عن الآخر عند من يتعلق بتمام الاستيعاب، أم كيف يربأ بهما أن يجتمعا في قلب مفكر واحد!

تَجْرِيدُ النَّظَرِ الْعِلْمِيِّ

واضطُرِرتُ مرة إلى تجريد النظر العلمي في تركيب الجملة العربية من النظر الفني؛ فإذا كَوَائِنُ جافة ميتة أُكوّنها حين أُكوّنها مثلما يَتقيَّأ مَبْطُون!

فأما تجريد النظر الفني في تركيب الجملة العربية من النظر العلمي، فغير بعيد عما اصطنعه بعض الشعراء من تَقْصِيص ورقة إحدى قصائده في وعاء مناسب، ثم خَلْطها، ثم إخراج القُصَاصات واحدةً واحدةً وكتابتها على ما تَخرُج في ورقة أخرى!

وليس أَشْبَه بمُجرَّدَي النظرَيْن من حِمارَي العِبَادِيّ الأول؛ إذ قيل له: أَيُّ حِمَارَيْك شَرٌّ؛ فَقَالَ: هَذَا، ثُمَّ هَذَا؛ فإنه إذا كان في تجريد هذا النظر الفني من العبث العابث ما لا يخلو من ادعاء إحياء الموتى، ففي تجريد ذلك النظر العلمي من المَسْخ الكئيب الكَريه ما لا يخلو من ارتكاب قتل الأحياء!

لُزُومُ كِبَارِ الْفَنَّانِينَ الْعُلَمَاءِ

ولا يتيسر إلا في الزمان الطويل بعد الزمان الطويل، أن يكون المفكر فنانا كبيرا وعالما كبيرا، فأما أن يكون فنانا كبيرا وعالما

أو عالما كبيرا وفنانا، فمِها يَتيسَّر؛ ومن ثم ينبغي لطلاب الفن والعلم المتحققين بحقيقة تكاملهما إذا ما انتبهوا إلى أحد أولئك الكبار فنا وعلما، أن يَلْزَمُوه -مهما كان زمانه ومكانه ومُنْتَماه- فهو نعمة ينبغي أن تحمد وتشكر، ولا حمد لها مثل معرفتها، ولا شكر مثل منفعتها.

ولا عذر لطلاب الفن والعلم المتحققين بحقيقة تكاملهما، في الإعراض عن أيٍّ من أولئك المفكرين الكبار فنا وعلما -وإن أعرض هو عنهم- بل يتعرضون له بكل سبيل، ويستعطفونه بكل دليل.

ولو رأوا كيف كان أبو عمرو بن العلاء يجلس عند قدمي بشار بن برد، يتحمَّل مَناكِيرَه حتى يتلقى مَآثِيرَه- أو رأوني أجلس عند قدمي محمود محمد شاكر، أصطلي بنار سخطه حتى أستضيء بنور رأيه- لَرَأَوْا مَرْأًى عجيبا!

تَرْبِيَةُ الِاسْتِعْدَادِ الْفَنِّيِّ الْعِلْمِيِّ

ولن ينشأ فينا طلاب فن وعلم متحققون بتكاملهما حتى نؤمن نحن به آباءً وأساتذةً وقادةً -وإن فاتَنا كثيرٌ مِنْ عمله-

ونَتَذَاكَرَه كما نتذاكر أصولنا الحيوية الثقافية؛ فينطبع في ذَواكِرنا الوراثية، ثم ينتقل إليهم الاستعداد له انتقالا طبيعيا.

إن الاستعداد هو أول التوفيق، وإن أولى ما ينبغي أن يَلِيَهُ وُلاةُ أمور الطلاب آباءً وأساتذةً وقادةً، أن ينتبهوا إلى المستعدين منهم وينبهوهم ويرعوهم، فإذا ما وجدوا الطالب مُرَكَّبَ النَّظَر يفكر في جواب المسألة بوجهين حَقيقيٍّ وخَياليٍّ، احتفَوْا له بهما جميعا، ووقفوه على ما بينهما من اختلاف وائتلاف، ثم جعلوه مِنْ هَمِّهِمْ.

ولا بأس بجمع الطلاب المستعدين جميعا معا بما يمكن من المجامع وتعليمهم وتدريبهم وتشجيعهم والمنافسة بينهم وتقديرهم، حتى يتحوَّل استعدادُهم قدرةً وقدرتُهم مهارةً.

تَرْبِيَةُ الْقُدْرَةِ وَالْمَهَارَةِ الْفَنِّيَّتَيْنِ الْعِلْمِيَّتَيْنِ

ولن يتحوَّل استعدادُ طلاب الفن والعلم المتحققين بحقيقة تكاملهما قدرةً حتى تمتلئ أوعية استيعابهم بمادة فنية وعلمية متكاملة كافية متنامية؛ فإن القدرة منزلةٌ فوق الاستعداد لا تنبغي إلا لمن استوعب تراثه الفني والعلمي المتكامل حتى صار

هو نفسَه التي بين جنبيه، فإذا نطق نطق بِبَيانِه وإذا صمت صمت بِجنانه ولم يُعْجِزْه شيءٌ إلا بمقدار قُعود استيعابه عن حقه.

ولن تتحوَّل قدرتُهم مهارةً حتى يعالجوا شؤون الحياة ويُجرِّبوا أحوالها المختلفة، فإن المهارة منزلة فوق القدرة لا تنبغي إلا لمن اقتحم المآزق ثم احتال حتى نجا -وَمَنْ كَانَ ذَا حِيلَةٍ تَحَوَّلَ- فتدفَّق سيل قدرته حتى جرف عوائق المآزق، ومكَّنه من رؤوس الظواهر الفنية والعلمية المتكاملة، ولم يُعْجِزْه شيءٌ إلا بمقدار قعود تجريبه عن حقه.

نَقْدُ الْأَصْوَاتِ وَالصِّيَغِ وَالْمُرَكَّبَاتِ اللُّغَوِيَّةِ الصُّغْرَى

هل أَحْكَمُ مثلا في تعليم نقد الأصوات اللغوية نقدا فنيا وعلميا معا، من الجمع بين الكلمات المتحدة إلا من كون بعض أصواتها مرققا في بعضها ومفخما في بعضها أو مهموسا في بعضها ومجهورا في بعضها كما في ["طَحَا"، و"دَحَا"] من القرآن الكريم، وبيان أن الكلمة واحدة، وأنْ ليس ثَمَّ غيرُ أن بعض أصواتها تطورت صفتُه لملاءمة المراد!

ثم هل أَحْكَمُ مثلا في تعليم نقد الصيغ اللغوية نقدا فنيا وعلميا معا كذلك، من الجمع بين مشتقات الجذر الواحد ومُعاوَرَتِها على الموضع الواحد من المركب اللغوي الصغير كما في ["نَوَاكِس"، و"نُكَّس"] من الشعر النفيس، وبيان أنهما كلمتان مختلفتا الدلالتين، وأنْ ليس ثَمَّ غيرُ أن إحداهما قد ادُّعِيَت لها دلالة الأخرى من غير أن تزول دلالتها!

ثمت هل أَحْكَمُ مثلا في تعليم نقد المُرَكَّبات اللغوية الصغرى نقدا فنيا وعلميا معا كذلك، من الجمع بين الجمل الإنشائية والخبرية ومُعاوَرَتِها على الموضع الواحد من المركب اللغوي الكبير كما في ["هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَط"، و"امْتَزَجَ لَبَنُهُ الْقَلِيلُ بِمَاءٍ كَثِيرٍ"] من الشعر النفيس، وبيان أنهما جملتان مختلفا الدلالتين، وأنْ ليس ثَمَّ غيرُ أن إحداهما قد ادُّعِيَتْ لها دلالة الأخرى كذلك من غير أن تزول دلالتها!

جَمْعُ النُّصُوصِ الْمُتَوَارِدَةِ

أم هل أَحْكَمُ مثلا في تعليم نقد الْمُرَكَّبات اللغوية الكبرى نقدا فنيا وعلميا معا كذلك، من جمع النصوص المتواردة والموازنة بينها كما في:

١ ["يَا طَلْعَةً طَلَعَ الْحِمَامُ عَلَيْهَا وَجَنَى لَهَا ثَمَرَ الرَّدَى بِيَدَيْهَا

٢ رَوَّيْتُ مِنْ دَمِهَا الثَّرَى (وَلَطَالَمَا رَوَّى الْهَوَى شَفَتَيَّ مِنْ شَفَتَيْهَا)

٣ قَدْ بَاتَ سَيْفِي فِي مَجَالِ وِشَاحِهَا وَمَدَامِعِي تَجْرِي عَلَى خَدَّيْهَا/

٤ فَوَحَقِّ نَعْلَيْهَا/ (وَمَا وَطِئَ الثَّرَى شَيْءٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَعْلَيْهَا)

٥ مَا كَانَ قَتْلِيهَا لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَبْكِي إِذَا سَقَطَ الْغُبَارُ عَلَيْهَا/

٦ لَكِنْ ضَنِنْتُ عَلَى الْعُيُونِ بِحُسْنِهَا/ وَأَنِفْتُ مِنْ نَظَرِ الْحَسُودِ إِلَيْهَا/ "،

١ "كَأَنِّيَ أَخْلَعُ جِلْدِي

بَدَوْتُ/

فَأَحْسَسْتُ أَنَّ الْمَكَانَ يُحَاصِرُنِي

وَالزَّمَانَ يُنَازِعُنِي نَفْسَهُ

لَا يَمُرُّ بِغَيْرِ بَقَايَايَ

حِينَ قَتَلْتُكِ/

إِنِّي تَحَجَّرْتُ/

لَمْ يَعُدِ الصَّبْرُ يُحْيِي مَوَاتِي/

وَلَا عَرَفَ النُّورُ كَيْفَ يَبُلُّ صَدَايَ/

فَلَيْسَ الزَّمَانُ زَمَانِي/

وَقَدْ لَفَظَتْنِي الْأَمَاكِنُ فِي هُوَّةٍ يَتَصَايَحُ فِيهَا الْهُمُودْ/

٢ وَحِينَ قَتَلْتُكِ

أَشْعَلَ قَلْبِي نَزِيفُ دَمِكْ

٣ كَمَا يُشْعِلُ الثَّوْرَةَ الْمُسْتَنِيمَةَ رَعْدُ النَّشِيدْ/

٤ فَأَحْرَقَنِي بِهَشِيمِي وَنَارِهْ/ "].

من الشعر النفيس، وهما قصيدتان أُولِعْتُ على الزمان حتى أَمْسِ بإغراء تلامذتي بالموازنة بينهما، فانتبه نجباؤهم إلى شِعْرِيَّتِهما ووحدة رسالة انتحاب شاعريهما فيهما على قتلهما أحب الناس إليهما -وإن كان الثاني أَظْهَرَ ندما على فعلته من الأول- وإلى قدامة

القصيدة الأولى وحداثة الثانية، بعَموديَّة عَروضِ الأولى وحُرِّيَّة عَروض الثانية، واختلاف أسلوبي تصويرهما الفني، وغرابة بعض مفردات الأولى كـ["رَوَّى"، و"مَجَالِ وِشَاحِهَا"، و"وَحَقِّ نَعْلَيْهَا"، و"ضَنِنْتُ"]، وقرابة مفردات الثانية حتى ["هُوَّة"، و"الْمُسْتَنِيمَة"]، ولم يخطر لهم أن تكون "صَدَايَ" بمعنى "عَطَشِي"، لا "تَرْدِيد صَوْتِي"! ثم كان منهم مَنْ فَضَّل القصيدة الأولى -حتى لقد حفظها في موقفه، وأَدَّاها من غير أن يَخْرِمَ منها حرفا- وكان منهم مَنْ فَضَّل الثانية، وإن لم يستطع أحدٌ أن يحفظها!

نَقْدُ الْإِيحَاءَاتِ التَّعْبِيرِيَّةِ

ولا غنى بمعلم الفن والعلم المتكاملين عن أن يعلق تلامذته من قول الشاعر الأول: "يَا طَلْعَةً طَلَعَ الْحِمَامُ عَلَيْهَا" بسَخَرِه من خروج قتيلته قَبْلَئِذٍ واثقةً بجمالها وبهائها، ومن قوله: "جَنَى لَهَا ثَمَرَ الرَّدَى بِيَدَيْهَا" بدَعْواه جِنايتَها على نفسها وبهجتَها بمهلكها، ومن قوله: "رَوَّيْتُ مِنْ دَمِهَا الثَّرَى وَلَطَالَمَا رَوَّى الْهَوَى شَفَتَيَّ مِنْ شَفَتَيْهَا" بتفاخره بجمود مشاعره، ومن قوله: "قَدْ بَاتَ

سَيْفِي فِي مَجَالِ وِشَاحِهَا وَمَدَامِعِي تَجْرِي عَلَى خَدَّيْهَا" باضطراب مشاعره في موقف المعرفة بين حَبْسِ السيف عليها انتقاما وسَفْحِ الدموع عليها الْتِدامًا، ومن قوله: "فَوَحَقِّ نَعْلَيْهَا وَمَا وَطِئَ الثَّرَى شَيْءٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَعْلَيْهَا" بحرجه الشديد من اطلاع أشيائها عليه في موقف القتل، ومن قوله: "مَا كَانَ قَتْلِيهَا لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَبْكِي إِذَا سَقَطَ الْغُبَارُ عَلَيْهَا" بأنه قد سبق منه لها من الوَلَهِ بها الذي ربما لم تُقَدِّرْه قَدْرَه ما ينبغي أن يُعذَر به، ومن قوله: "لَكِنْ ضَنِنْتُ عَلَى الْعُيُونِ بِحُسْنِهَا وَأَنِفْتُ مِنْ نَظَرِ الْحَسُودِ إِلَيْهَا" بأنه إذا صَرَفَ عنها قتلُها عيونَ الناس ونظرَ الحسود فلن يصرفه عنها؛ فكأنما قتَلَها ليشتمل عليها في نفسه!

ثم لا غنى بمعلم الفن والعلم المتكاملين كذلك عن أن يعلق تلامذته من قول الشاعر الثاني: "كَأَنِّيَ أَخْلَعُ جِلْدِي" بزوال مَنَاعَته وانكشافه للحوادث، ومن قوله: "فَأَحْسَسْتُ أَنَّ الْمَكَانَ يُحَاصِرُنِي" بهجوم الحوادث مِنْ حيث أَمِنَ، ومن قوله: "وَالزَّمَانَ يُنَازِعُنِي نَفْسَهُ لَا يَمُرُّ بِغَيْرِ بَقَايَايَ" بأن نَفْسَه تَسَاقَطُ أَنْفُسًا، ومن قوله: "إِنِّي تَحَجَّرْتُ" بامْتِساخه عَرَضًا لا جَوْهَرَ له، ومن قوله:

"فَلَيْسَ الزَّمَانُ زَمَانِي وَقَدْ لَفَظَتْنِي الْأَمَاكِنُ فِي هُوَّةٍ يَتَصَايَحُ فِيهَا الْهُمُودْ" باجتماع الزمان والمكان على ضَرْبَة ساخطٍ واحد، ومن قوله: "أَشْعَلَ قَلْبِي نَزِيفُ دَمِكْ كَمَا يُشْعِلُ الثَّوْرَةَ الْمُسْتَنِيمَةَ رَعْدُ النَّشِيدْ" بشيء مِن دَخيلة قول الأول: "قَدْ بَاتَ سَيْفِي فِي مَجَال وِشَاحِهَا وَمَدَامِعِي تَجْرِي عَلَى خَدَّيْهَا"، وكأنما بَقِيَتْ منه بقية تَشْهَد عليه- ومن قوله: "فَأَحْرَقَنِي بِهَشِيمِي وَنَارِهْ" بهَلاكِ الشاهدِ هَلاكَ المَشْهودِ!

نَقْدُ الْبِنْيَةِ الْعَرُوضِيَّةِ

ثم ينبه تلامذته طلاب الفن والعلم المتحققين بحقيقة تكاملهما، على أن القصيدة الأولى تَتَخَرَّجُ في علم عروض الشعر العمودي الذي ضبطه الخليل بن أحمد، بأنها ستة أبيات كَامليَّة الوزن وافية صحيحة العروض مقطوعة الضرب هائيّة القافية مفتوحة مُرْدَفَة بياء اللين موصوله بالألف- والقصيدة الثانية تَتَخَرَّجُ في علم عروض الشعر الحر الذي ضبطته نازك الملائكة، بأنها أربعة أبيات مُتقارِبيَّة الوزن متعددة الأضرب والقوافي.

ولا بأس بأن يَقِفَهُم على جَرَيان عروض العمودي على وَفْقِ موسيقى الغناء العربي القديم التي لم تكن غير دَوْرات متوالية متشابهة، كل دورة في مِثْل طول نَفَس المغني الشاعر، وفي كل دورة بيتٌ من أبيات القصيدة- وجَرَيان عروض الحر على وَفْق موسيقى السِّينفونية الغربية الحديثة التي صارت تَيَّارًا جارفا يتدفق إذا تدفق فلا يتوقف مهما اضطرب إلا عند مُنْقَطَعِه مرة واحدة لا شيء بعدها، والقصيدة كلها بمنزلة بيت واحد.

ومن ثم يتبين لهم استقامة القصيدة الأولى على عروض العمودي إلا من تضمين بيتها الرابع في الخامس تضمينا خفيفا يشده إليه قليلا ويعوق الاطمئنان على قافيته شيئًا، وعدم استقامة القصيدة الثانية على عروض الحر.

فأما أسلوب رَسْم أيٍّ من القصيدتين أَيْ كتابتها فلا أثر له في أصل تخريجها في علم العروض إلا أن يُنَبِّهَ متلقيها على خَوافيها أو يُلْهِيَهُ عن ظواهرها، ولاسيما أن من شعرائنا المعاصرين مَنْ يرسم قصائده الجارية مجرى إحدى قصيدتينا على نحو ما رُسِمَت الأخرى.

وكذلك ينبههم على أن القصيدة الأولى تتخرج في علم نحو النص على أنها نص من فصلين: أولهما جملتان في ثلاثة الأبيات الأولى، والثاني خمس جمل في ثلاثة الأبيات الآخرة، استؤنف الثاني في اعتذار المحب عن الأول في تَشَفّي المنتقم، وجُعِلَتْ عبارة "وَمَدَامِعِي تَجْرِي عَلَى خَدَّيْها" في عجز البيت الثالث، رِباط ما بين الفصلين- والقصيدة الثانية تتخرج في علم نحو النص كذلك على أنها نص من فصلين: أولهما سبع جمل في البيت الأول، والثاني جملتان في ثلاثة الأبيات الآخرة، عُطِف الثاني في صحوة الشهادة على الأول في وطأة الخطب، وجُعِلَتْ عبارة "حِينَ قَتَلْتُكِ" رِباط ما بين الفصلين.

ومِنْ ألطف ما يَقِفُهم عليه بين القصيدتين على رغم تَقارُب عَدَدَيْ كلماتهما الكِتابيَّة، طولُ الجملة في الأولى وقِصَرُها في الآخرة على رغم ما يُظَنُّ من استقلال الطول بها في قصائد الشعر الحر انْطلاقًا مِن حدود الأبيات المُتهدِّمة، وتَرابُط بعض جمل الأولى

دون الآخرة بالاعتراض على رغم ما يُظَنّ من استقلال التَّجاوُر بها في قصائد الشعر العمودي انْبِهارًا بحدود الأبيات المتمكنة!

تَكَامُلُ الْأَفْكَارِ الْكُلِّيَّةِ وَالْجُزْئِيَّةِ

ولا يخفى اشتمال التنبيهات السابقة على ما يخص تعليم الأفكار الجزئية (الوزنية، والقافوية، والأصواتية، والصرفية، والمعجمية، والنحوية)، وما يخص تعليم الأفكار الكلية (العروضية، والنصية، والفلسفية). وهذا أوان التنبيه على أن حَقَّ المرحلة الجامعية أن تَخْتَصَّ لتعليم الأفكار الكلية، من بعد أن تكون المرحلة التأسيسية قبلها قد اخْتصَّتْ لتعليم الأفكار الجزئية.

ولا ريبَ ألّا غِنَى بالأفكار الجزئية والكلية إحداهما عن الأخرى؛ فبعضُها أَوْلِياءُ بعض، ولا سيما أن مُعلِّم الأفكار الجزئية في المرحلة التأسيسية يُعلمُها حين يُعلمُها وفي ذهنه أفكارها الكلية التي تُحيط بها وتُؤلفُ بينها، ومُعلم الأفكار الكلية في المرحلة الجامعية يُعلمها حين يعلمها وفي ذهنه أفكارها الجزئية التي تَجتمع فيها وتَتشارك في تَكْوينها.

ومن ثم ينبغي أن تتصل أسبابُ معلمي المرحلة الجامعية دائما بأسباب معلمي المرحلة التأسيسية، حتى يتعارفوا، فيمهّد بعضهم لبعض، ويكمل بعضهم بعضا، ويتحقق طلابُ الفن والعلم بحقيقة تكاملهما؛ فلا خير في تَنَاكُرهم بعضِهم وبعضٍ، الذي يمحو آثارَهم بعضَها ببعضٍ، أولئك هم الأخسرون أعمالا "الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا"، صدق الله العظيم!